

دراسات حول
المرأة العربية

دكتورة منى ميخائيل

تقديم وترجمة

دكتور محمد عوض خميس

العربي للنشر والتوزيع

إهــــداء

الى والدتى احتراما واعترافا بفضلها .

الى كل رجل وامراة فى عالمنا العربى .. بأمل مستقبلا افضل .

د. منى ميخائيل

هــذا الكتــاب ...

لهــذا الكتاب قصة .. فقد استطعت الحصول على كتاب باللغة الانجليزية اثار عنوانه انتباهى « **صورة المراة فى الأدب العربى** » Images of Arab Women : Fact & Fiction وحيث أن موضوع المراة هــو أحــد اهتماماتى الأساسية ، فقــد قرأت الكتاب وخرجت منه بانطباعات كثيرة ، فهو باختصار يناقش قضية المرأة من جوانب عديدة من خلال تناول العديد من الأعمال الأدبية العربية واستعراضها وتحليل مضمونها .

ولقــد طرح فى ذهنى الكثير من التساؤلات خاصة وهــو يعالج قضية المرأة بطريقة جــديدة لم نعهدها فى كثير من الكتب التى تتناول نفس القضية ، وفى ذات الوقت فانه يخاطب القارىء الأجنبى بحكم تواجد الكاتبة — وهى مصرية — فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تعمل أســتاذة للأدب العربى بجامعــة نيويورك هناك ، وتمنيت مناقشتها فى كتابها ... وعندما وصلت فى زيارة عمل للقاهرة ، جمعنى بها الناشر الذى طرح أن يصــدر الكتاب باللغة العربية مع مراعاة أن يتوجه الى القارىء العربى . وبعــد مناقشات عــديدة للكتاب ذاته ولأعمال أخرى للكاتبة منها أعمال نشرت وأعمال لم تنشر ، تفضلت الكاتبة باطلاعنا عليها ، أثمرت تلك المناقشات فى ظهور الكتاب الحالى بعــد الحــذف والاضافة للكتاب الأصلى .

ولقــد تخيرت الكاتبة عنوان الكتاب « **عرائس فى المولد** » : ويبدو أن هــذا العنوان قــد أصاب الهــدف تماما : فهنــاك

وخاصة فى العشرين سنة الأخيرة ، ظهرت الكثير من الأعمـــال تتناول قضية المراة العربية بشكل فنى عبر انتاج ادبى لأديبـــات وادباء من عالمنا العربى ، وظهرت العديد من الدراسات الجادة خاضت فى قضية المراة العربية كانت رائدتها دراسات **الدكتورة/ نوال السعداوى** التى فتحت الطريق لآخرين ليساهموا بدورهم فى مثل هـــذه الدراسات .. واصبح هناك زحام من هـــذه الأعمال يتزايد يوما بعـــد الآخر (المولد) يصرخ فى الانسان العربى : أن قضية تحرر المراة هى قضية تحرر المجتمع ، ووسط هـــذا (المولد) تقف النساء العربيات حائرات حيث ما زالت مصائرهن فى أيدى غيرهن واختزلن قيمتهن فى مفهوم جاهل : أن قيمة المراة الوحيدة فى جمـــالها ناصبحن (عرائس) . هـــذا هو المولد وهـــؤلاء هن العرائس .

ان البعض قـــد يتصور ان قضية تحرر المراة العربية قـــد قتلت بحثا ، ولذلك فهم يرون أن هناك قضايا اجـــدى يجب الاهتمام بها . وفى الحقيقة فهم واهمون ، ذلك أن قضية تحرير المراة من القيود التى تكبلها والمتمثلة فى العادات والتقاليد والعرف وفى كثير من الأحيان القانون ، ما زالت تحتاج الى دراسات أعمق وأشمل بغية تغييرها ، خاصة وسط التطورات التى تمر بها المجتمعات العربية ــ خاصة فى الفترة الأخيرة ــ وابرزها تلك الدعاوى التى باتت أصواتها مسموعة وضجيجها عال النارية بعودة المراة حبيسة بيتها وعـــدم مشاركتها فى قضايا مجتمعها وابرزها العمل والانتاج وكذلك الارهاب الفكرى المستمر الموجه اليها حيث « انهـــا كلهـــا كامراة حرام ! » تحت دعاوى دينية عن جهل مؤكد بالدين ذاته . ولعله مما يؤكد الاحتياج الى المزيد من الأعمال التى تتناول قضية المراة العربية ، وما وصلت اليـــه النساء فى هـــذه المجتمعات من السلبية والاستسلام والخوف ، حتى بات التخلف سمة من سمات المراة العربية .

ومن هنا جاء الترحيب بهـذا الكتاب الذى يناقش قضـية المرأة العربية من أوجه عـديدة ، فهو يناقش :

قضية المرأة من حيث معالجتها فى الأدب العربى ، ودور الرواد الأوائل فى التصدى لقضية تحرر المرأة العربية ، وما أثمر عنه ذلك فى ظهور العـديد من الأعمال الأدبية التى اصبحت اكثر شجاعة فى تناول القضية بشكل مباشر ومعاناتها من عـدم المساواة بالرجل وعلى أنها كائن ناقص تحت دعاوى لا تستند الى العقل والمنطـق والعلم بأى أسانيد والكتاب يتناول رؤية تحليلية قلما طرحت فى عالمنا العربى : وهى معالجة قضية (الساقطات الفضليات) من خلال استعراض صورهن فى بعض النماذج من الأدب العربى ، بحثا عن الأسباب الكامنة وراء السقوط حيث هن ضحايا قبـل أن يوصمن بالانحراف ، ثم الرد على الأصوات التى تعلو بأن المرأة قـد نالت حريتها ، وينقلنا الكتاب الى معالجة القضية من خلال تجربة عصرية جاءت فى وقت مبكر من هـذا القرن مشخصة تمرد المرأة من خـلال مسرحيـة الست هـدى لأمير الشـعراء أحمـد شـوقى .

ونشير الى أن الأعمال الأدبية التى تناولها الكتاب ، اختيرت بعناية لتوضح منطق جـديد الا وهـو البحث عن مسببات تخلف المرأة العربية التى ترجع الى التنشئة الاجتماعية الأولى للمرأة (الانثى الطفل) اى تفاعـل الانثى الطفل مـع البيئة والمجتمع وانعكاسهما عليها ، وهو منطق علمى ، عكس المنطق الذى يبحث فى قضية تحرير المرأة من حيث هى الآن (هكذا !) بمعزل عـن التفاعل المشار اليه .

ان القيمة الحقيقية لهـذا الكتاب هى مشاركته الحضـارية فى قضية البحث عن مستقبل افضل للانسان العربى .

انه كتاب لا يصرخ كثيرا ولكنه يخاطب العقل والوجـدان العربى فى ثقـة وهـدوء .. وما اكثر احتياجنا لهـذا النهـج فى معاملة قضايا الانسان العربى .

واخيرا وليس آخرا نتقـدم بالشكر لمجلة فصول — الهيئة العامة للكتاب Three Continents Press على كافة المساعدات والمعـاونة .

د. محمد عوض خميس

الاسكندرية أبريل سنة ١٩٨٧

« ثورى ! . احبـــك ان تثورى

ثورى على شرق السبايا .. التكايا .. البخور

ثورى على التاريخ ، وانتصرى على الوهم الكبير

لا ترهبى احــدا .. فان الشمس مقبرة النسور

ثورى على شرق يراك وليمة فـــوق السرير »

نزار قبـــانى

صورة المرأة العربية

لمحات من الأدب العربى

يعتبر الأدب العربى بين الأدب العـــالمى هـــو الأقـــدم والأحـــدث . ان لديه تقاليد عميقة منذ الف وربعمائة عاما .. ويصور الأدب العربى التغييرات التى طرات على المجتمع العربى عبر تاريخه ، ويرجع احتفاظ الشعوب العربية بروابطها معا الى اللغة والحضارة التى عبر عنها هـــذا الأدب بوضوح .

وسيظل للأدب العربى قيمته واهميته القصوى حيث كان ولا يزال يعكس التغيرات التى تمر بها المجتمعات العربية وخصوصا تلك التغيرات الراديكالية التى تشهدها تلك المجتمعات فى قرننا الحـــالى .

وبشكل خاص فانه يمكننا أن نعتبر الأدب العربى هو الأكثر تعبيرا عن صورة المراة من حيث مكانتها ودورها فى المجتمع ارتفاعا وانخفاضـــا .

وهناك ثمة تصور ما يرى أن الأدب والحياة الحقيقية حالتان مختلفتان ، ولكن الكتابات فى مجتمعنا العربى ــ خاصة فى الفترات الأخيرة ــ اصبحت تتقرب من التعبير عن تلك المجتمعات الى حـــد كبير . أن قيمة الأدب العربى تبدو فى حـــدواه التعبيرية عن واقع هـــذه المجتمعات .

واذا كانت هـــذه الصفحات ستحاول الحصول والوصول الى صورة المراة العربية فى الأدب العربى ، فان ذلك أمر لا يستهان به ، حيث أن الأدب العربى متسع ولكنه صعب وفى نفس الوقت

ومعقد لدرجة الغوص من خلال الاعداد المتعاظمة من الأعمال الأدبية منذ القرون الأولى وحتى الآن. ولنا أن نتصور أن صورة المرأة العربية قد تعامل معها الأدب العربى منذ القرن السابع حتى وقتنا الحالى . ولذلك سنحتضر بعض النماذج من الكتابات العربية التى كان لهـــا دورها فى التعبير عن صورة المرأة العربية .

ففى القرن السابع ، خرجت علينا « **تماضر بنت عمرو الحارث بنت الشاريد** » والشهيرة بالخنساء ، كشاعرة شجاعة تمـــلك قـــدرا هائلا من القوة وصراحة التفكير مما جعلها ذات بصـــمات واضحة فى الأدب العربى المسجل تاريخيا . ويدل على ذلك مرثيتها الشهيرة فى مصرع أخيها والتى جعلتها تعيش عزلة حادة . وكذلك قصيدتها الشهيرة مأوى الأرامل .

الخنســـــــاء

مـــأوى الأرامـــل

طرق النعى على صفينة غدوة ... ونعى المعمم من بنى عمرو

حامى الحقيقة والمجير اذا ... ما خيف حد نوائب الدهـــر

الحى يعـــلم ان جفنتـــه ... تغدو غداة الريح او تسرى

فاذا اضاء وجاش مرجـــله	فلنعم رب النـــار والقـــدر
أبلغ مواليـــه فقـــد رزئوا	مولى يريشهم ولا يشرى
بكفى حمـــاتهم وينمحـــهم	منـــه من العشرين والعشر
تروى سنان الرمح طعنته	والخليل قد خاضت دما يجرى
قـــد كان يدوى كل أرملة	ومقيل عثرة كل ذى عـــذر
تلقى عيـــــالهم نوافـــله	فتصيب ذا الميسور والعسر

وفى القرن العشرين تعتبر « نـــازك الملائكة » واحـــــدة من الشاعرات التى امتلكت وجـــددت لغة القصيدة ، وجذبت الاهتمام بمحاوراتها التى رمت الى أحداث تغيير فى واقع مثيلتها من النساء ، ذلك الواقع الجائر والخطير الذى يكبل النساء عن معايشة أحداث مجتمعاتهن . ولعل قصيدتها « مرثية امراة لا قيمة لهـــا » لا تتكلم فقط عن واقع النســاء ، بل فتحدث عن أغتراب وغربة الانسان من خلال معايشة الأحـــداث فى عالم متخلف . حيث تقول :

مرثية امرأة لا قيمة لهـا

« صورة من زقاق بغـدادى »

ذهبت ولم يشحب لهـا خـد ولم ترجف شفاه
لم تسمع الأبواب قصـة موتهـا تروى وتروى
لم ترتفع استار نافـذة تسيل اسى وشـجوا
لتتابع التـابوت بالتحـديق حتى لا تـراه
الا بقية هيـكل فى الدرب ترعشـه الذكـر
نبا تعثر فى الدروب فـلم يجـد ماوى صـداه
فأوى الى النسيان فى بعض الحفر

اما « **ولادة بنت المستكفى** » الشهيرة بجمالها تعتبر واحـدة من الشاعرات التى جمعت قصائدها أرق الأبيات الشعرية المعروفة حتى اليوم ، والتى عبرت عن قصة حبها مع « ابن زيدون » الذى احبها بجنون ، وهى القصائد التى انتشرت انتشارا عظيما فى القرن الحادى عشر ... ولعل حريتها فى التعبير تثير حسد اقرانهـا اليوم ، وتعبر عن مكانة النساء فى عصرها .

ولقـد استطاعت بعض الكاتبات العربيات المعاصرات ـ فى هـذا القرن ـ ان يعكسن فى كتاباتهن الواقع الاجتماعى والثقافى والمعتقدات السياسية لمجتمعاتهن .... وتعتبر « تريز عـواد » رائدة فى صرختها « انعكاس الآلام » التى استطاعت من خـلالها تشـخيص أمراض عصرنا الحـديث ومن اشـهرها : الوحـدة الاغتراب .

و « وقــدوى طــوقان » واحــدة من اللواتى رفض وما زلن يرفضن القوى الخارجية التى تعوق حريتها كامرأة عربية .

فمثلا تستعرض فى قصيدتها بالأبيات التالية :

يرثى كآبتــه القمر .

والليل اســلم نفســه دون اهتمام ، للصــباح

واتى الضياء بصوت بائعــة الحليب وبالصيام ،

بمــواء قط جائع لم تبــق منه سوى عظــام ،

بمشاجرات البائعين ، وبالمرارة والكفــاح ،

بتراشق الصبيان بالأحجار فى عرض الطريق ،

بمسارب المــاء الملوث فى الأزقــة ، بالرياح ،

تلهــو بأبواب السطوح بلا رفيق

فى شــبه نسيان عميق

ولقــد شارك الأدباء والشعراء الرجال فى الدفاع عن المرأة من خلال الأدب العربى :

يعتبر « **جميل صدقى الزهاوى** » ، « **معروف الرصافى** » ، « **أحمد شوقى** » « **وحافظ ابراهيم** » ، من أوائل الأدباء والشعراء الرواد الذين نادوا بتحرر المرأة العربية فى بدايات هــذا القرن . وكانت كتاباتهم واشعارهم ــ فى هــذا الوقت ــ تضرب بعنف المعتقدات التى تدعو الى الحــد من حرية المرأة ، كما نقراء فى قصيدته الشهيرة : تحية لجمعية المرأة الجــديدة لحافظ ابراهيم .

تحيـــة لجمعية المرأة الجـــديدة

(نشرت فى ١٢ ابريل سنة ١٩٢٨م)

لكن يهدى النيل الف تحيـــة — معطرة فى اســـطر عطــرات

ويثنى على اعمـــالكن موكلى — باطراء اهـــل البر والحسنات

اقمتن بالأمس الأساس مباركا — وجئتن يوم الفتـــح مغتبطات

صنعتن ما يعى الرجال صنيعه — فزدتن فى الخـــيرات والبركات

يقولون :

نصف الناس فى الشرق عاطل — نساء قضين العمر فى الحجرات

وهذى بنات النيل يعملن للنهى — ويغرسن غرسا دانى الثمرات

وفى السنة السوداء كنتن قدوة — لنا حين سال الموت بالمهجات

وقفتن فى وجه الخميس مدججا — وكنتن بالايمـــان معتصـــمات

وما هالكن الرمح والسيف مصلتا — ولا المدفع الرشاش فى الطرقات

تعلم منكن الرجال فأصـــبحوا — على غمرات الموت اهل ثبات

(صفية) قادتكن للمجد والعلا   كما كان (سعد) قائد السروات

عرفنا لها فى مجد (سعد) نصيبها   من الحزم والاقدام فى الأزمات

تهون للشـــيخ الجليل هجومه   على الهول به بالتشجيع والبسمات

وندفعـــه للموت والثغر باسم   وفى صـــدرها نوعمن الزفرات

كذا فليكن صنع الكريم وصبره   على دهره والدهر غير مواتى

لتحى الغوانى فى ظلال مليكة   سمعت فى معاليها على الملكات

وظل (فؤاد) مفخر الشرق كله   كثير الأيادى صادق العزمات

ولعل واحـــدا من الشعراء العرب ، معظم اعماله الشعرية عن المراة العربية ، والأكثر شهرة فى هــذا المجال ، رغم امتلاكــه لأيديولوجيا تقليدية عن النساء بشكل عام والعربيات على وجــه الخصوص ، الا وهــو « نزار قبانى » : قــد نجح اكثر من غيره من الشعراء المعاصريين فى التعبير عن المسببات التى تجعل النساء العربيات ضحايا .. ان قصائده تصرخ فى وجه النساء ، انه يسخر من كون المراة العربية احادية الاهتمام ، ويحاول ان يجعل المراة العربية تقف امام تخلفها كمحققة لرغبات وسلطات الرجل الشرقى ويجعلها موضوعا ماساويا . ففى يوميات امراة لامبالية يقول :

يا ســـيدى
اخاف ان اقول ما لدى من اشياء
اخاف — لو فعلت —
ان تحترق السماء
فشرقكم يا سيدى العزيز
يصـــادر الرســـائل الزرقاء
يصـــادر الأحـــلام من خزائن النساء
يمارس الحجر على عواطف النساء
يستعمل السكين ..
والســـــاطور ..
كى يخاطب النساء
ويذبح الربيع ، والأشواق ..
والضـــفائر الســـوداء
وشرقكم يا سيدى العزيز
يصنع تاج الشرف الرفيع
من جماجم النساء ...

****

ويضيف نزار قباني أشعارا نفاذة على لسان المرأة :

سأكتب عن صديقاتي ..
فقصـــة كل واحـــدة
أرى فيها .. أرى ذاتي
ومأساة كمأساتي ..
سأكتب عن صديقاتي ..
عن السجن الذي يمتص أعمار السجينات ..
عن الزمن الذي اكلته أعمدة المجلات ..
عن الأبواب لا تفتح
عن الرغبات ، وهي بمهدها تذبح
عن الحلمات .. تحت حريها تنبح
عن الزنزانة الكبرى .
وعن جدرانهـــا السود ..
وعن آلاف .. آلاف لشهيدت
دفن بغير اسماء
بمقبرة لتقاليد ..
صديقاتي ..
دمى ملفوفة بالقطن ،
داخل متحف مغلق
نقود .. صكها التاريخ ، لا تهدى ولا تنفق
مجاميع من الأسماك في احواضها تخنق
وأوعيـــة من البلور مات فراشها الأزرق ...
بلا خوف ..
ساكتب عن صديقاتي
عن الأغلال دامية باقـــدام الجميلات ..

عن الذيان .. والفثيان .. عن ليل الضراعات
عن الأشواق تدفق فى المخــدات ..
عن الدوران فى اللاشىء ..
عن موت الهينهات ..
صديقاتى ..
رهائن تشترى وتباع فى سوق الخرافات ..
سبايا فى حريم الشرق ..
يفشن ، يمتن ، مثل الفطر ، فى جوف الزجاجات
صديقاتى ..
طيور فى مغائرها
تموت بغير أصوات ...

ان الأدب العربى الحـــديث بصفة عامة وتناوله لقضية المراة على وجه الخصوص ، اكتسب حق الوجود الشرعى وسط الأدب العالمى . ولقـــد شهدت الفترة الأخيرة اعلاء شأن الاهتمام بدور ومكانة المراة ، واصبحت الدراســـات عن المراة العربية محـــل اهتمام فى الدراسات الغربية .

انه من الحقائق الثابتة : أن ارتفاع مكانة النساء يعتبر قـــوة لا يستهان بها ، ليس فقط داخل الأسرة العربية ولكن فى المجتمع العربى على اتساعه ، ويعكس الكتاب والشعراء من الجنسين ، عمق التغيرات والتأثيرات التى تحـــدث وستحدث فى المجتمع العربى حينما تشارك النساء العربيات فى مشاكل مجتمعاتهن . وســـوف يظل الدفاع عن المراة جزء اساسى من اعمالهم واعمالهن ، منددين بالمعاملة غير العادية للمراة وكونها مهملة وجزء منفصل عن المجتمع فى كثير من المجتمعات العربية .

●

وعندما نعود لتراث الأدب العربى ، لربما وجـــدنا ان رواية « الف ليلة وليلة » وبطلتها « شهر زاد » توضح كل اعتبار فى قصص الخيال ، وتعتبر نموذجا ثريا للأدب . ان « شهر زاد » هى الشخصية الأساسية فى الرواية ومحـــورها التى اثرت فى الأدب العالمى ، وقد يرى البعض أن « شهر زاد » هى اساس للشكل الأول للمراة ، ولكن فى الحقيقة تعتبر المراة الأكثر حيلة ودفاعا عن حقها فى الحياة ،

والأكثر دراية فى معرفتها بطبيعة الانسان المتعـددة الجوانب ، وتبدو كنموذج لمهارة المراة فى قهر قـوة تسلط الرجل مستخدمة فى ذلك عقلها .. وحسب سياق الرواية تعتبر « شهر زاد » نموذجا مثاليا لدراسة استراتيجية تغييرية من خلال التعاطف والفهم لدورها. فأن الصراع بين الجنسين قـد حل سلميا « الصراع بين شهر زاد وشهر يار ».

فى هذا العمل الكلاسيكى ، ومن خلال شخصية « شهر زاد » بطلة تلك الأسطورة واللغة المستخدمة فى الرواية والصراع بين الرجـل والمراة ، تتضح درجـة التطور الانسانى الذى عاشـه الشرقيون ومنهم المجتمعات العربية .

ان الخيال العربى يروى بشكل ثورى من خـلال الاستعانة بالنساء فى الاطار التقليدى ، وكذلك فـان الروايات والقصص القصيرة لمعظم الكتاب العرب يمكن الحكم عليها ونقـدها من خلال معالجتها وتعاملها مع مصائر النساء كنماذج انسانية فى مجتمعاتنا .

ان الكاتبات العربيات لهن محاولات بدرجات مختلفة لتوضيح نضالهن ، وشخصياتهن كانسانيين .. وتعتبر « ليلى بعلبكى » « وغادة السمان » من النماذج البارزة فى مثل هـذه المعالجات . ومن شمال أفريقيا تعتبر « آسيا جبـار » فى اعمالها الروائيـة ، معبرة عن الصراع الطويل والممتد بين الجنسين ــ والذى لم يحل بعد ــ من خلال العلاقة بين الرجل والمراة ، انها تعبر اقـوى

تعبير عن مأساة بنات جنسها العربيات . تقول فى رواية (الطيور الســـاذجة) Les Alouettes Nauves :

(كل نسائنا خائفات .. ورغم ثرثرتهن فانهن لا يتحـــدثن عن الحقيقة لأنهن خائفات ، مشغولات بانجاب طفل بعـــد طفل لاخفاء خـــوفهن) .

وكذلك حينما تقول عن بطلتها :

(انها فى حبها لم تفقد نفسها ، بل اضعفت نفسها ، لقد جعلت من نفسها تمثال رخامى ولكنه ايضا تمثال من الطين يأخذ اشكالا جـــديدة) .

ان النماذج التى تحـــدثنا عنها ـــ على قلتها ـــ ، توضح تفوق الأدب العربى فى التعبير ، حيث يسبر اغوار النفس ويعمل الفكر فى مزج النخيل بالحقيقة . ان الكتاب العرب سواء من الرجال أو النساء عن لسان ابطالهم وبطلاتهم يبحثون عن حقيقتهم وأخلاقياتهم ومعنى حقيقى لحياتهم .

ان هؤلاء يؤكدون : أن النساء العربيات فى الحقيقة والواقـــع لسن ثابتات أو عناصر غـــير قابلة للتغيير ، ولا ينكرن طبيعتهن الأنثوية ، ولكنهن يأملن فى نوع جـــديد من عالم يعش فيه يتسع لكل الرجال والنساء على قـــدم المساواة . وهـــن لا يستسلمن لحيرتهن ، فيحاولن العطاء لانهاء اضطهادهن فى مجتمعاتهن .

حرية المرأة

نضال ودفاع

قاسم أمين :

كان « قاسم أمين » محامى وقاضى بحكم وظيفته الرسمية . وهــو أيضا صاحب مبادىء سامية فى مناصرة ومنح حقوق النساء فى زمن صمتت فيه الأصوات عن مثل هــذه القضايا . وفى شرف وصراحة دعى الى وضع نظــام يبغى تحسين أوضــاع النساء المصريات وارتفع صوته فى بداية هــذا القرن . ولقــد استرعى انتباهه الوضع الأدنى للمرأة واهمالها عبر القرون ، لذلك دافــع عن قضيتها موضحا الحاح هــذه القضية على المجتمع كله واعادة النظر فى احوال المرأة :

(اذا كان نصف المجتمع يقبع فى حياة من الخوف ، والجهل ، والعبودية ، فكيف نأمل فى اى تنمية للأمة كــكل) .

ولقــد انتشرت مواقفه الصادقة من خلال نشاط وعمــل مكثفين وباصرار بجانب مواكبتها للحركة الوطنية فى مصر .

ان كتابيه : « حرية المرأة » ، « المرأة الجــديدة » وضــعا محل اهتمام كعلامة اساسية على وضع المرأة العربية . ولقــد حظيا هــذين العملين باهتمام بالغ فى العالم العربى ، وأصــبحا محل اهتمام الجنسين حيث أوضح فيهما معاناة المرأة من حيث الضغوط الواقعة عليها ووضعها الغير ملائم .

لقــد أوضح « قاسم أمين » الحقوق والواجبات الخاصــة بالمرأة فى الشريعة الاسلامية . واستطاع التدليل على وجهة نظره فى الدفاع عن حرية المرأة تاريخيا وعلميا مستخدما نواحى المعرفة الأخرى : الاقتصادية ، الاجتماعية والنفسية .

ولقــد وضع « قاسم أمين » قاعــدة للذين أتــوا بعــده وبرهن عــدم تعارض الاسلام مع حرية المرأة فاضــحا التفسير الزائف للاسلام من قبل البعض واستعرض فى ذلك مختلف المدارس الاسلامية والحكم والتشريع .. ولقــد أوضح : (أنه لمن الخطــأ الجسيم الاعتقاد بأن التحريم من الممــكن أن يحمى التفكير النقى للنساء اللواتى هن أحرار فى الارتباط بالرجال وبمزيد من الأخلاق ، ومن غير المحبب أن ترتبط النساء بأزواج بغير رغبتهن ويجب تنمية التوجيهات الصحيحة فى التوجه تجاه الجنس) .

ولقــد شجع « قاسم أمين » الاتجاه العقــلانى فى الاختيار والتفكير فى ظــل الايمان بالله وليس فى ظل عقوبات جائرة بواسطة القانون . ولقــد أوضح أنه بدون ذلك سوف تظل النساء بأرضاعهن أقرب الى العبيد .

وقــد كتب فى عام ١٨٩٩ فى « حرية المرأة » ، مثله مثل الرواد العظام فى زمنه : محمد عبده والأفغانى ، رفاعه رافع الطهطاوى مناديا ومدافعا عن ضرورة ارتفاع مكانة المرأة .

ولقــد نادى بأن النساء لهن حق المشاركة على قدم المساواة فى الحقوق والمسئوليات تجاه مجتمعهن . ونادى بحرية التعــليم

للنساء موضحا عـــدم تعارض دور المراة كزوجة وكأم وكونهـــا متعلمـــه .

وبقـــدر ما كانت كتابات « قاسم أمين » تعليمية للقراء ، بقـــدر ما كانت دعوة للتغيير والثورة . وكنتيجة لكتاباته ، بدات أحـــوال النساء فى التحسن ببطء ، ولكن بقيت اشياء كثيرة محرومة منهـــا النساء : مثل عـــدم حقها فى التصويت والترشيح .

ان محاولات « قاسم أمين » فى الدفاع عن حرية لمراة تتضح من خلال مناقشته القضاياالتالية :

التعـــليم :

لقـــد وقف الجهل واهمال تعليم المراة : الأدب ، الفن ، الاقتصاد ، والصناعة فى وجـــه تقـــدم المراة . فاذا اعطيت الفرصة وانخرطت فى حياة المجتمع وشاركت فى قضاياه ، فانها ستكون عضوا نافعا فى المجتمع .

(أن النساء فى حاجـــة للتعـــــليم ليصبحن احرارا وذوات ارادة) ويواصل آراءه ... : أن العـــديد من افراد مجتمعنـــــا يفترضون أنه من المستنكر أن تعتنى النساء بشؤنهن ، ويدللون على ذلك بأن الرجال هم الموكلون بالاعتناء بشئون النساء . ان النساء الصغيرات واللواتى لم يتزوجن ، والأيتام ، والأرامل ، والنساء اللواتى ليس لديهن أطفال ذكور ، والأخريات اللواتى ما زال أطفالهن صغارا .. كل هؤلاء يحتجن بشدة للتعليم لاعالة أنفسهن وأسرهن

ولمواجهة مسئولياتهن فى الحياة . وفى حالة النساء المتزوجات أو اللواتى لديهم موردا للحياة ، فان التعليم يصبح ضروريا لمساعدتهن على ادارة أمور الحياة بوعى وبروية ، فهـذا دور المعلم للانسـان سواء فقيرا أو غنيا .

ولقـد اوضح « قاسم أمين » هـذه النقطة جيدا :

(اننا نرى كل يوم أمثله من النساء يرتبطن بالرجال ، وانه ليبدو شيئا غريبا أن تظل أسرارهن تعتمل فى دواخلهن بينما هن فقدن يندبن حظوظهن) .

وبخضوع النساء للأمر الواقع فانهن يفقدن حقوقهن كل يوم . لذلك فالتعليم بالنسبة لهن حاجة انسانية وانه واحـد من الحقوق الأساسية لأفراد أى مجتمع متحضر سواء نساؤه أو رجاله .

وبشكل عام فان النساء ما زلن يتملكهن الرعب ازاء الرجال ، وبدون الانتفاع بقيمة التعليم ، فان القيمة العقلية والذكاء الاجتماعى سوف يضعف لديهن وسيتعاملن بغرائزهن .

واذا ظلت النساء على جهلهن ، فان وضعـهن فى الزواج سيستمر كما هـو الآن : سيعنى قـدرة الرجل على شراء امرأة . ولكن اذا تلقت المرأة تعليما وعرفت قيمتها كانسان ، فان الزواج سيصبح بيئة طبيعية لخلق السعادة للزوجين . ان الزواج سيبنى على العطاء المتبادل بين الزوجين اللذين يحب كل منهما الآخر ويرتبط

به قلبيا ، روحيا وجسديا . وسوف يكون اختيار المرأة بعقلهـــا وسترتبط بالرجل الذى ينجـذب اليها وتنجـذب اليه . وســوف تدعم الأسر اختيار بناتهم ، وسيتم المتحول بحيث لا تصبح النساء خائفات من أزواجهن وفاقدات للعاطفة تجاههم . وهنا فقط سيعرف الرجال القيمة الحقيقية للمرأة وسيجربوا الحب الصادق والحقيقى .

أنظروا الى اثنين فى حالة حب . كيف تكون حالة الســعادة والاستقرار التى يتمتعان بها . ان سعادتهما عظيمة واقبالهما على الحيـاة رائع) .

عن تعـدد الزوجـات :

ان تعـدد الزوجات عادة قـديمة منتشرة منذ ما قبل الاسلام حيث كانت النساء يعتبرن كائنات أشبه بالعبيد ، أجناس فيما بين الانسان والحيوان . وتاريخيا كان تعـدد الزوجات دلالة قاطعـة على مكانة المرأة المتدنية فى المجتمع . ويختفى تعـدد الزوجات فقط عندما تتغير أوضاع النساء الى الأحسن . ولعل تعـدد الزوجات هـو أحـد أنواع أو اشكال التفرقة العنصرية والاستعباد .

وحتى فى المجتمعات التى تقر تعـدد الزوجات ، يمكننا أن نلاحظ عـدم قـدرة الرجل على الوفاء بمتطلبات الحياة الزوجية ، ويصبح هـذا التعـدد شكلى فقط ، لأن الرجل فى الحقيقة يكون مرتبطا بواحـدة فقط . ويمكن البرهنة على ذلك بالنظر الى تقلص هـذه العادة اليوم بالمقارنة بما كان سائدا من عشرين أو ثلاثين عـاما .

ان تعـــدد الزوجات هـــو نوع من العبودية ، وتصبح المرأة فى هـــذا النظام دائما تحت طلب الرجل وخادمة له . ولعله ممـــا يظهر قيمة التعليم للمرأة تلك النتائج الايجابية لاتى حـــدث من هـــذا النظـــام .

انه من الطبيعى أن يكون تعـــدد الزوجات مؤتا الى حـــد بعيد . ففى العلاقات الزوجية يصبح من الطبيعى أن ترفض المرأة ان يشاركها احـــد فى زوجها ، تماما كما يرفض الرجل ان يشاركه آخر فى زوجته .

وعلى اية حال ، فان اى امرأة تحترم نفسها ، تعانى اذا وجـــدت زوجها مرتبطا بامرأة اخرى . (هـــذا اذا كانت صادقة فى حبها لزوجها ، فانها ستعانى من الغيرة ، واذا لم يكن ذلك فانها ستقبل الحياة معه تحت هـــذه الظروف بلا مبالاة) .

ان المرأة تعتبر نفسها العمود الفقرى فى اسرتها الزواجية ، فاذا ارتبط بغيرها فان معاناتها وشعورها سيتدنى تدنيا كبيرا . انه لا يوجـــد سببا معقولا لأن يتزوج الرجل باكثر من واحـــدة ما لم تكن هناك اسباب قهرية لذلك ، مثل المرأة التى لا تنجب أو المصابة بمرض خطير يمنعها عن اداء حياتها الطبيعية مع زوجها . اننى اقول ايضا واصر على ذلك ، اننى لا اتمنى أن ارى رجلا بتزوج بأخرى حتى تحت هـــذه الظروف . تماما كما هـــو الحال بالنسبة للمرأة التى لا تترك زوجها فى مثل هـــذه الظروف ؟ .

ان اتيان الرجل يتعـــدد الزوجات يدل على عـــدم التوازن والخضوع للذات زائفة .

عن الطــلاق :

لقــد اعتبر « **قاسم أمين** » الطلاق من أخطر الأمور ، ولقــد وضع ضوابط خمسا لاباحة الطلاق :

البنــد الأول :

اذا رغب رجلا فى طلاق زوجته فلابد من الرجوع للقاضى أو المـــأذون وعرض الخلاف بينه وبين زوجته .

البنــد الثانى :

على القاضى او المـــأذون أن يعلم الزوج بما استقر عليـــه القرآن والسنة حيث ان الطلاق مكروه عند الله ويبصره بعـــواقب فعلته ، ويأمره أن يعاود التفكير فى الطلاق فيما لا يقل عن اسبوع .

البنــد الثالث :

واذا أصر الزوج على الطلاق بعـــد المــدة التى حـــددها القاضى أو المـــأوذن (اسبوع) ، فان للقاضى او المـــأذون أن يقرر وينتدب قريبا لكلا الزوجين من عائلتهما أو اثنين غريبين اذا لم يكن هناك اقارب لمحاولة رأب الصدع بين الزوجين والاصلاح بينهما .

البنــد الرابع :

واذا فشل المنتدبان فى اقناع الاثنين بالاستمرار معا مرة اخرى ، فعليهما أن يقـــدما تقريرا للقاضى أو للمـــأذون . وفى هـــذه الحالة فان على القاضى أو المـــأذون ان يصرح للزوج بالطلاق .

البنـــد الخامس :

ولا يقع الطلاق الا امام القاضى أو المـــأذون وفى حضـــور شاهدين حسب عقيدتهما .

ان فقهاءنا المتنورين يرون أن هـــذه هى الطريقة المثلى ذات النفع العظيم للحـــد من حالات وقوع الطلاق ، وعملا يخضـــع لتعليمات الله وأوامره ومشيئته .

لقـــد اوصى « قاسم أمين » الزوج أن يضع كل الاعتبار فى معاملته لزوجته كشريك وليست كعبد أو كائن مهمل ، فانه مؤتمن على زوجته وفى حاجة اليها كشريك . ولقـــد قرر « قاسم أمين » على ضرورة التعامل مع عقل المراة فى أرتباطها بزوجها فانها ليست كائنا حيوانيا . واكد على التعاون بين الزوج والزوجة .

ان كتاباته قـــد شـــدت الانتباه للقراءة عن مسائل المرأة وجعلها موضوعا ذو قيمة . ولقـــد انتشرت اعماله بين الرجال والنساء أكثر من اى اعمال اخرى فى عصره . وسوف يظل له الفضل فى تعـــديل احوال المراة العربية من خلال كتاباته .

●

نبـــوية موسى :

يوم أن كان صوتها هـــو الوحيد

تعتبر « **نبـــوية موسى** » رائدة فى الدفاع عن حرية المرأة فى مصر ومعروفة جيدا كمعلمة ، ولقـــد كتبت كتابها الرائع فى عام ١٩٢٠ « **المرأة والعمل** » . وفى كتابها مجموعة من الأفكار تتردد اليوم فى اماكن كثيرة من العالم العربى الاسلامى ، آخـــذة فى الاعتبار الأفكار والنظريات الأساسية المدافعة عن المساواة بين الرجـــال والنساء . فى أيامها كانت هناك العـــديد من التساؤلات حـــول حرية المرأة التى كانت مبهمة . ولقـــد أكدت معتقداتها حـــول أن الرجل قـــد منح حرية يتيح له عمل كل شىء بشكل مبالغ فيه عبر التاريخ .

وفى الحقيقة فان السؤال حول سلطة النساء لم يطرح على بساط البحث ، حيث كان الاعتقاد السائد هـــو الغـــاء مسئولية المرأة ، ولكن ما كان سائدا هـــو أن حرية المرأة فى ابقائها وعاءا للانجاب وهـــذا هو وضعها الطبيعى . ولقـــد نبعت هـــذه القاعدة من أن قـــدرات المرأة محـــدودة للغاية فيقـــدر شجاعتها فى الولادة والزواج بقـــدر ما يجب حرمانها من الحب ، وأن مملكة المرأة هى منزلها الذى تصبح حارسة عليه وحبيسته وهذا هو تحكم الرجل .

لقـــد كان ذلك منطلق الدفاع عن حرية المرأة لدى « نبـــوية موسى » التى أوضحتها فى كتابها ، وهى نفسها لم تتزوج . أن دعوتها تستند بالأساس على طلب الحرية للنساء استنادا الى

قوتهن وشجاعتهن ، ورأت أن التعليم سينير عقل المرأة ، وهــذا سيضعها على قــدم المساواة مع النصف الآخر من المجتمع .

لقــد نادت بالتعليم للنساء واعتبرت حرمانهن من التعليم وضع لا يتسم بالعــدالة الانسانية ويخالف العقائد والمنطق . انها لم تتراجع ولم تفقد شجاعتها الفائقة لدعوتها القوية للتعليم الجيد للنساء وتحسين أوضاعهن . وقالت فى هــذا الصدد :

اننا لا نشعر بقــدر الاعاقة لتقــدم مجتمعنا نتيجة للجهل . ان النساء فى كل الدول يعانين من هــذه الحــــالة . ولكننا فى الحقيقة ، علينا أن نشعر بالخجل الشديد ازاء الأمم الأخرى حيث يتاح لنسائها العمل اليوم ، بينما نحن نعيش فى الظــــلام ، هم يتقــدمون بخطى واسعة والمقارنة شاسعة بيننا وبينهم . ومنذ قرنين تقريبا أخــذت المرأة وضعها فى أوروبا ، ومن خلال عملها الشاق حققت الكثير من الانجازات .

(أن لدينا نحن أيضا الأمل،برغم ضعفنا الناتج عن الاستعمار، ولأننا افضل مما كانت امهاتنا ، وهناك امل عظيم لنا فى المستقبل . فى أمريكا الشــمالية التى يســــكانها الهنــــود الأمريكان والتى استعمرت من البريطانيين ، نجــد أن الرجال والنساء (كما هــو حادث فى العالم الجــديد) يعملون جنبا الى جنب لجعل أمتهم من أعظم الأمم . أن النساء فى أمريكا اقتحمن حقول المعرفة : العلمية ـ السياسية ، وهن مسئولات عن المدارس ، ادبيات ... وفى أماكن كثيرة لديهن حــق التصويت) .

لقــد كانت « **نبوية موسى** » تستشهد كثيرا ومعجبة بانجازات المراة الأمريكية راجعة لحاضرها وما فيها كامثلة لدور النساء الأساسى فى بناء المجتمعات ، القــديمة والحــديثة ، مقارنة بالشعور المصرى ازاء النساء من قبل الرجال ، مستنكرة الحماقة وعــدم العــدل والمعتقدات الخاطئة لدى الرجال ، آملة فى انماط اخرى من السلوك تحقق الرفاهية لبلدها .

●

لقــد كانت تضع فى اعتبارها اشد المصريين فقرا وبؤســا (الفلاح) وزوجته . فكليهما يعمل ويشارك بمساواة فى العمل . وغالبا ما يعتقد الرجل المصرى تفــوق زوجتــــه نوع من انواع الخطر . ولكن فى الحقيقة فان الفلاح يواجــه نفسه بشجاعة : فقبل الاقــدام على اى مشروع يأخــذ فى الأعتبار وجهة نظــــر زرجته . انها تشاركه عمله وتعرف مشاكله اليومية ، المعلنة وتسوق « **نبوية موسى** » الأمثلة السابقة ، لتبرهن على التناقض فى المجتمع المصرى ، فالفلاحات يبذلن قــوة عملهن ويعاملن على قــــدم المساواة ولهن حقوق ويؤدين واجباتهن ولهن دورهن فى المجتمع ، فى حين ان سكان المدن ليس لديهم الجراءة على ذلك .

وباستعراض ساكنى المدن ، ســـنجد ان الرجال استوعبوا العلم والتفكير . ورغم ذلك لديهم عقولا جامدة وتفكير فارغ ازاء النساء ووضعهن . حيث أن نساءهم يطويهن النسيان منذ نعومة اظفارهن فى ركن مظلم وفى اهمال ، يزيد الجهل من صدأ عقولهن .

ان نساء المدينة بعيدات كل البعـــد عن أقرانهن فى الريف ، حيث الأخيرات يقـــودن الحياة الحقيقية ويقمن بدور أساسى فيها ، ان عملهن لا يتم على أساس التسلية ولكن لأنه العمل ، رغم انهن لم يتلقين اى قـــدر من التعلم . ان نساء المدن لا يعرفن قـــدرهن .

انهن بلا عمل ، حياتهن مغلقة حتى الموت . لذلك هن يفتقدن حتى التجارب فى حياتهن . . .

لذلك دعونا نعلم النساء ونساويهن بالرجال . ان الرجال يختلفون عن النساء (كما فى المملكة الحيوانية) فقط فى بعض النواحى البيولوجية .

ان اختلاف الجنس لم يكن — فى يوم من الأيام — عائقـــا عن المساواة بين الجنسين . ولذلك فواجب النساء أن يتماسكن معـــا ليقفن على قـــدم المساواة مع الرجال .

لقـــد وقف (**فريد افنـــدى وجـــدى**) مصرحا أن النســـاء لا يحتجن الى العمل ، لأنهن اذا احتجن للمال فيساعدهن « بيت المـــال » .. ولقـــد هاجمته « نبوية موسى » بعنف ســـاخرة من تصريحاته :

(أين هو بيت المـــال . أخبرنى بربك ؟ بينما الآلاف من النساء المسلمات فى حاجة ماسة للنقود . يبدو أن هناك رجالا يقولون أشياءا غير معقولة فى الأمور التى تتعلق بالنساء ، واذا عرفـــوا الحقيقة ، سيدرك الرجال خشونة مشاعرهم ازاء وضعهم وشرفهم المغـــالى فيـــه) .

وحسب وجهة النظر التى كانت سائدة فى أيامها ، فانها تلفت جميع الأسئلة ، وحللتها خاصة التى تحرم من وجهة نظر اسلامية ممارسة النساء للعمل :

ان الفقراء من معظم القطاعات السكانية ، يستعانون على الحياة بأجورهم . ولم تحرم عقيدتنا مثل هــذا الأمر .

هل نعتبر هؤلاء ملحــدين ؟ هــذه الأسر هى الأساس فى مصر والمنبع الرئيسى لثروتها ويتوقف ازدهار المجتمع على أفرادها . ان العقيدة لا تنكر ذلك ، ولكن الجهل هو الذى يفسر هذا التحريم .

وتقول ان المجتمع المصرى مثلا فى حاجة الى أطباء من نساء انهن الأحسن فى التعامل مع غيرهن من النساء ، أكثر من الأطباء الرجال . أن الطبيبة ستفهم وتدرك أكثر أوضاع النساء وستخفف ما يقعن تحته من ضغط تعسى اثناء التعامل مع الأطباء الرجال .

يقول « **فريد افنــدى وجــدى** » الذى اشتهر بالحط من مكانة المراة والذى هاجمته « **نبــوية موسى** » يقول : « المراة مخلوق نبيل ، خلقت لانجاب وزيادة الجنس البشرى ، وهــو الدور الذى لا يستطيعه الرجل » .

وفى ردها تعجبت « **نبوية موسى** » :

هل المراة وحــدها هى المنتجة للأطفال ، هل هى وحيــدة الوظيفة فى ذلك بينما كل الوظائف الحيوية الأخرى لها ممنوعة .

لقد ردت على دعاويه بأن المراة ضعيفة ، واوضحت انه يتحايل ليثبت عدم قدرة المراة على العمل . لقد ابدى « **فريد وجدى** » تعاطفه من صميم قلبه مع النساء داخل المصانع الأمريكية امام الآلات العملاقة . وتعجبت « نبوية موسى » كيف يبدى ذلك بالنسبة للنساء الأمريكيات وينكر ذلك على نساء بلده .

وتتسائل كيف قفل عينيه ولم ير ابدا المراة المصرية وهى تعانى ولم يسمع صرختها من حمل الفواكه والخضروات التى تبيعها لتحيا ولربما لاعالة الرجل . ما هو رايه فى النساء المسلمات اللواتى يعشن من غسل الملابس للأسر وللأجانب . ان هؤلاء النسوة لا يعشن فقط حياة بائسة ولكن لديهن شك فى فقد شرفهن . الم يرى جنابه النسوة المثقلات بحملهن ، الم يرى جنابه النسوة الخادمات اللواتى يعملن لسد رحقهن كعبيد عند الأجانب .. ان كاتبنا يغمض عينيه عن كل ذلك ، ولكنه يرى فقط معاناة المراة الأمريكية العاملة .

ان النساء يعانين من مصيرهن فى مصر . ونحن نتغاضى عن ذلك ، لأننا حساسون ازاء ما يقع على المراة الأمريكية التى تعانى فى الحقيقة اقل ، وقد يرجع ذلك لرؤيتهن يعملن فى المصانع .

ان المراة المصرية ليست اقل من هؤلاء بصدد اعمالهن ، وستبرهن النساء المصريات على ان لديهن القوة للعمل عندما نريد أن نضع خياة . اننا لم ندرب بعد النساء المصريات على الوظائف المناسبة لهن . انهن يعملن دون تلقى العلم . ان نساءنا

يحتجن فقط للتشجيع والخبرة والمعرفة لتقلد وظائف مناسبة ، كمشرفات وفى المعامل العلميـــة ، الطـــب ، الوظائف الحكومية والقانون . وهل من العـــدالة حرمانهن من هـــذه الفرص . أى أيا ممن يقفون فى وجه عمل النساء المصريات بحجة أن العمل شاق ، عليه أن يوفر للمراة فرص عمل مريحة ومطمئنة .

ان هـــذه التحليلات عن المراة تصبح حقيقة تماما اليوم فى كثير من المجتمعات ، سواء فى الشرق والغرب ، . أن « **فردوبك انجلز** » فى كتابه « **أصل العائلة** » ، اوضح انه فى القرن التاسع عشر قامت مصانع كثيرة فى اوروبا على اكتاف عمل النساء . ان النساء يأملن فقط فى التحرر من وضعهن الأزلى كحارسات للبيوت ليصبحن عضوات منتجات فى المجتمع .

فى هـــذه المرحلة من نضال « **نبوية موسى** » لم تدرك ضرورة تواجـــد الاصلاحات الرديكالية التى يجب أن تدخل على المصـــانع وعلى المجتمع وارتباط ذلك بأحوال النساء وحيث ضرورة التوازن بين عملها وبين أسرتها .

لعـــل « **نبـــوية موسى** » لم تلاحظ ما قاله احـــد افراد حملة نابليون على مصر فى عام ١٧٩٨ التعليق الذى ينطبق تماما على المجتمع المصرى فى ذلك الوقت :

« عن مستوى المعيشة فان هناك ملاحظات كثيرة . ولكن هناك طبقتان من النساء فى مصر : هؤلاء اللواتى لديهن الثروة ويعشن حياة الحريم ، والفقيرات المضطرات للعمل والنشاط من اجـــل الحيـــاة » .

وتعلق قائلة على انها :

(اذ قيل أن تقاليددنا الشرقية تمنع الفتاة الصغيرة من المذاكرة جنبا الى جنب مع الطبيب الصغير ، لأن العقيدة الاسلامية تحرم مثل هــذا التعليم المختلط ، اننى اقول لهم ، ان كل النساء فى حاجة للتعامل مع الأطباء ، والعقيدة تقر ذلك والعادات استقرت على ذلك .. انه من الأفضل ان تختلط الفتيات بالذكور فى فصول الدراسة ليتخرجن طبيبات يستطعن الاعتناء فيما بعــد بالنســاء الأخريات . ولعل العادات استقرت على أن المصريات يصبحن ممرضات وتمورجيات وعلى ذلك فهن يختلطن بالأطباء . كم من النفع سيعود على الطبيبة لو تم التعامل معها على قــدم المساواة كالطبيب ، ستستخدم شخصيتها وشرفها . وعلى كل الأحــوال يجب ان تأخــذ المراة مكانتها) .

ان الرجال يعتبرن النساء فى موضع ادنى من الأطباء اذا كن طبيبات . ماذا علمتنا عقيدتنا فى هــذا المضمار بخصوص النساء ؟ عقيدتنا تعلمنا أن الناس سواسية بالعــدل .

وتساءلت « **نبوية موسى** » لمــاذا لا يوجــد لدينــا نساء محاميات يمارسن القانون المدنى ، أنهن فى هــذه الحالة ايضــا ضحايا نظرة الرجال . فى حين ان المحاميات النساء سيكن فى موقع افضل فى الدفاع عن النساء لمعرفتهن بمشاكلهن ولقربهن منهن .

ان « **نبوية موسى** » وهى تدافع عن مكانة المراة وضعت نصب عينيها داخل الأسرة المصرية . فاذا اخــذت المراة حريتها فانهــا

ستضع الأسس لتناغم الحياة الأسرية . لقــد دعت النساء أن ينجعن مثل الرجال ، وأن يصبح تنمية نظام الحياة هــو احـــد وظائفها مستخدمة فى ذلك طاقتها وقـــدراتها من اجل تنمية المجتمع الأسرى . « **نبوية موسى** » ــ مثلا مثل الرائدات الأخريات اللواتى نادين بحرية المراة واللواتى تتبعن خطواتها بدرجات مختلفة ــ ، قررت أن حرية المراة ستغير كثيرا من التقاليد الخاصة بها .

وفى شروط لوظيفة « **المهــر** » الأساسية الذى يدفع للمرأة ، انه الهـــدية التى تتلقاها من زوجها ، وهناك الصـــداق وهو مبلغ من المـــال تتلقاه المراة أو الزوجة فى حالة طلاقها . . عن ذلك كتبت :

ان المهر هـــو كمية من المـــال الذى يدفعه الرجـــــل للمراة كمقـــدمة للارتبـــاط . ان هـــذه هى مشيئة الله ورغبـــة لتدعيم العلاقة بين الرجل والمراة . والمراة تشعر بأنها مرغوبة بعـــد أن تتلقى هـــذه الهـــدية المقـــدمة لهـــا ، بينما الرجل يشعر بأنه يرغبها ، ولذلك فكليهما عليه أن يحتفظ بالآخر . وعادة أو فى كثير من الأحيان يستخدم هـــذا المـــال لتجهيز حياة عائلية . ويصبح عنصرا مضافا للارتباط .

وفى حالة الصداق لم يستقر عليه الفقهاء من حيث كميته . وفى بعض الأحاديث فان الصداق يمكن أن يكون حـــدوة حـــديد . . لذلك انه يعنى عند المراة الكثير فى حالة الانفصال .

« **نبوية موسى** » اوضحت أن القرآن لم يغال فيه . فالفقير

من الممكن ان يقـــدم حـــدوة حـــديد ، والغنى ممكن أن يقـــدم ما هـــو اكثر .

اذا كان من حق النساء ان يطلقن ازواجهن ، فانهن عليهن دفع المهر لبدأ الارتباط . ولكن لأن الطلاق هـــو حق الرجل ، فان المهر يعتبر شكلا من اشكال الاحترام .

ولكن العلماء يرون أن النسـاء يجب أن يمـــدوا بالمهور : واذا كان القانون الالهى قرر أن يدفع للنسـاء فان العلماء يتفقون على ذلك .

ان « **نبوية موسى** » فى دعوتها لحرية المرأة ارادت لهـــا حق التعليم والتوظيف واحترام عقلها .
ان « **نبوية موسى** » نفسها لم تتزوج ، ووهبت حياتها للنضال ضد التميز والتفرقة ومع الاصلاح .

ان كتاباتها قـــد جعلتها فى وقت كان الكل فيه صامتا — من الرائدات أوائل المعاصرات فى العالم العربى .
ان ما يمكن ملاحظته على كتاباتها هـــو استعانتها بالفلسفة ، ولقـــد وضعت الأسـاس لمستقبل المراة لسنوات عـــديدة مقبلة .

لقـــد رات ان حرية المراة تتوقف بالدرجة الأولى على تعليمها ، فان تشكيل العقل هـــو القادر على تحمل المسئولية وانجـــاز النجـــاحات .

وبفضل « **نبوية موسى** » اصبحت حرية المراة واقعا وحقيقة فى كثير من الدول واليوم تعلمت المراة وحـــــدث التغير الراديكالى الذى كانت تنشده فى أوائل هـــذا القرن .

الطـــاهر الحـــداد :

دور المرأة فى تغيير المجتمع
« وجهة نظر من شمال أفريقيا »

يشتهر « **الطـــاهر الحـــداد** » بدفاعه عن قضايا المرأة ، والتى تعتبر محاولة واعية للتغيير لصالح مكانة الانسان التونسى فى العشرين سنة الأخيرة . ان كتابه « **المرأة فى الشريعة والاسلام** » يقع فى جزئين :

١ ــ القسم التشريعى :

وهو دراسة كلاسيكية عن وضع النساء فى الشريعة الاسلامية مستعرضا قوانين الشريعة ، وعلاقتها بالقوانين المدنية ، والزواج والطـــــلاق .

٢ ــ الجزء الثانى :

من هـــذا الكتاب يجمع معا بعض وجهات النظر المهمة التى تتعامل مع حيرة المرأة التونسية . وهـــو بذلك شاهد على عصره ، كمن سبقوه : **سيدى الخطاب بوشيراك ، سيدى الطاهر بن اشور ، سيدى بالحسن النجار** . هـــذا الجزء يتعامل مع القواعد الأساسية لوضع المرأة فى المجتمع ... والكتاب بشكل عام يعتبر كمرشـــد عملى لحقوق ومسئوليات المرأة والتعامل معها .

يعتبر « **الطــاهر الحــداد** » السلوك الذى كان سائدا فى الجاهلية تجاه المراة ، سلوكا مرضيا ومتناقضا . وهــو ما جعل الاسلام يقاومه ويغيره . ان « **الطــاهر الحــداد** » يأخــذ بوجهة نظر عمليــــة فى معالجتــه لقضايا المراة فى المجتمع . ويحــدد التناقض بوجه عام : أن قوة عمل المراة وما تبذله من نشاط تكون محل اعتبار فى وقت بناء المجتمعات لنفسها حسب امكانياتها ، وفى نفس الوقت لا تعامل المراة على قــدم المساواة مع الرجل . وهو يعكس ذلك على المجتمع التونسى .

فعلى سبيل المثال موضحا التناقض — وفى استعراضه لحقوق المراة فى الاسلام — فان الزواج بأربعة قــد قيد الى درجة كبيرة حيث أن شرطه العــدل بين الزوجات الأربع من قبل الزوج فى جميع النواحى ، وقــد تدرج التشريع الاسلامى ليتلاشى الصدق الفجائية بالتحريم والابطال وهــذه عبقرية الاسلام . ورغم ذلك نجد تعدد الزوجات مستباحا الى حــد بعيد .

أن القرآن — من وجهة نظره — نصح الرجال على معاملة النساء فى مناخ من الحب والمودة والرحمة . ولكن ما هــو سائد فى المجتمع عكس ذلك .. فعن الطلاق كتب يقول :

بلا جــدال اننا نعرف ان الزواج يعتبر اساس الحياة والخلق.
وبلا جــدال يجب أن يراعى القانون ذلك وينظر الى هذه الحقيقة .
ان النظر الى الاختلاف بين المراة والرجل (حيث أن المراة كائن أدنى من الرجل كما هــو سائد اليوم فى العــديد من المجتمعات) يترك

آثاره على القانون . وبلا جـــدال فان هناك اتجاهات كثيرة لعلاج ذلك .

فاذا كان الزواج يبنى على اسس المودة والرحمة فان الطلاق يجب أن يبنى على ذلك ايضا . واذا كانت الطبيعة الانسانية تملى علينا العـــدل والمراجعة ، فبالتالى على الزوج أن يتردى ويراجع نفسه قبل الطلاق . ولذلك أعطى القرآن للزوجـــة المطلقة حقوقا كحقوق الزواج ابرزها الصداق كتعويض للمراة عن فقدانها لحياتها الزوجية وتوقف حقوقها كزوجة .

ولقـــد ورد فى القرآن الكريم :

« فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عـــدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا » ..

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احـــداهن قنطارا فلا تأخـــذوا منه شيئا أتأخـــذونه بهتانا واثما مبينا » ..

ويوضح « **الطـــاهر الحـــداد** » أن الطلاق فى الاسلام قـــد يكون رحمة اذا كان بارادة الزوجين ، واوضح أن الفقهاء أوضحوا ذلك : ففى حالة استحالة الحياة بين الزوجين فالتفريق بينهمـــــــا افضل . وأوضح أن الطلاق ليس نزوة عابرة للزوج ولكنه اتفاق بين زوجين على الانفصال بتعقل وروية .

ان المجتمعات التى تحترم النساء ومشاعرهن والتى تعطى حقوقا متساوية للرجال والنساء وتنص على ذلك فى قوانينها ، فلابد لها أن تتقــدم وتزدهر .

لقد اوضح كذلك ضرورة تدريب المراة على العلوم والصناعة والمهن المختلفة لتشارك النساء فى تنمية مجتمعاتهن .

وان العمل مهم للمراة للمشاركة فى اعالة الأسرة ولتحقق المراة ذاتها من خلال العمل . ومن حقها التعامل مــع الشعر والموسيقى والفنون الجميلة فهى تهــذب المشاعر الانسانية . واوضح أن تقــدم اى مجتمع من المجتمعات وقفا على حرية المراة .

« ان المراة يجب الا ينظر اليها كجسد ولكن يجب أن ينظر الى قــوتها والى مشاعرها » .

انه يستنكر بشدة الرؤية المتخلفة للمراة التى يعبر عنها فى الأغانى التى تتحــدث فقط عن رغبات الرجل ، مشاعر الرجل ، ما يحبه وما لا يحبه ، أنها تفهمها لكائن تابــع فى مثل هــذه الأغانى نصيبها فى الدنيا الزواج ، خرساء فى انتظار رغبات الرجل ورهــن اشارته ، مهملة التعبير عن احتياجاتها ورغباتها .

ان الطاهر الحــداد يسجل ملاحظته :

ان الشرق ضعيف .. اصرار رهيب على بقاء المراة فى المنزل منسية كذرات التراب . ولكن بدأ يبنى المدارس للمراة ويؤسس

تقاليد جـــديدة مجتمعية تهتم بها . ان الصحافة تتحــدث عـــن تخلف المرأة . اننا اليوم نسمع عن زعيمات نسائيات فى الهند كما نسمع عنهم فى مصر وتركيا وسوريا . انهن يضحين بحياتهم من اجل اوطانهن . وما نسمع عنه ونقرأة بعيد عما نحن فيـــه ، لأننا نحن الافريقيين أسرى لمعتقداتنا القـــديمة الغير سويه عن النســـاء .

« اننى أرفع صوتى عاليا مخاطبا الضمائر الحية . ان هـــذا اقصى استطاعتى . أريد ان اصبح كالبركان لأقاوم الذين يغتالون احلامنا ويجعلوننا أضحوكة امام العالم .

اننى أتوجـــه لجميع التونسيين ، ليس فقط عن التناقض فى وجهات نظرهم ، أن يتعاملوا مع وجهة نظرى ويثقوا بها . اننى ارى الحظر يحيق بنا بموقفنا السلبى ازاء التغيير لمـــا نحن فيه من جهل وان نقر جميعا بقيمة المعرفة » .



حقائق وأرقام

أزهار شائكة

تخرج علينا بين الحين والآخر ، العديد من الأصوات التى ترى أن المرأة العربيـــة قد حصلت على حقوقها كاملة وتساوت بالرجال ... وتطالب هذه الأصوات بالكف عن الدراسات حول الوضعية الحقوقية للمرأة العربية .

سنطرح هذه السطور لعلها تؤكد صحة دعاوى هؤلاء من عدمها .. وستأخذ المرأة المصرية كنموذج للمرأة العربية :

لقد تطورت نضالات المرأة المصرية من أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن على النحو التالى :

أولا ــ الفترة الأولى (١٨٧٠ ــ ١٩٠٥) فترة نيابة الرجال :

لقد كان دور المرأة فيها دورا سلبيا ، أما الرجال فكانوا أول من رفع لواء تحرير المرأة ، وبالتالى أطلقنا عليها فترة سلبية ، أو فترة نيابة الرجال للدفاع عن حقوق النساء فى مصر ولقد تميزت هذه الفترة فى مجملها بشعار تخديرى يعبر عن أقصى آمال وأمانى المرأة المصرية ذلك الشعار التوصيفى « **السيدة المصونة والجوهرة المكنونة** » . حيث كانت المرأة قعيدة البيت يعولها الزوج ، جاهلة ، ممنوعة من العمل والعـــلم ، أقصى أحلامها : الزواج والعبودية للزوج .

وجاء دور رواد الفكر المتحرر ودعاة التجديد والاصلاح من الرجال وفى مقدمتهم :

١ ــ **رفاعة رافع الطهطاوى** ، الذى أشار فى كتابه « **تلخيص الابريز**

فى **تلخيص باريس** » الى ضرورة رفع سن زواج الفتـــاة الى خمس وعشرين سنة حتى يمكن لها أن تتم تعليمها . ونادى فى كتابه « **المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين** » بوجوب تعليم الفتاة ، وبين عـــدم تعارض هذا التعليم مع التشريعات الاسلامية ، وأوضح أنه « اذا كانت البطالة مفهومة فى حق الرجال ، فهى مذمة عظيمة فى حق النساء » .

٢ ــ **الشيخ محمد عبده** ، مفتى الديار المصرية الذى دعا الى ضرورة تعليم المراة وتحسين ظروفها الاجتماعية واعتبر ذلك أمرا جوهريا فى برنامج النهوض بالمجتمع .

ثانيا ــ الفترة الثانية (١٩٠٦ ــ ١٩١٨) استمرار فترة نيابة الرجال مع ظهور أول بادرة نسائية :

لقد استمرت فترة نيـــابة الرجال فى الدفاع عن حرية وحقوق المرأة . فنجد أن « **قاسم أمين** » قد جدد دعوة سلفية **رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده** ، فألف كتابيه « **تحرير المرأة والمراة الجديدة** » الذى دافع فيهما عن تعليم البنات وتحريرهن من رق الجهل وشقاء الحجاب مبينا أن الرجال والنساء فى المجتمع شقان لا يتعارضان ، ونصفان متكاملان، وأن بقاء النساء فى الجهل معناه تعطيل لانتاج نصف المجتمع ، وأوضح أن المراة هى أم الرجال والنساء معا وأم الجيل القادم بأكمله رجالا ونساءا .

ولقد ظهرت أول بادرة نسائية للدفاع عن حقوق المراة متمثلة فى السيدة / **ملك حفنى ناصف (باحثة البادية)** التى تعد بحق واضعة

حجر الأساس للنهضة النسائية فى مصر ، فقد كتبت لصالح حقوق المرأة ، وكانت أول خطيبة جمعت النســاء وخطبت فيهن لتوعيتهن وحثهن على المطالبة بحقوقهن ، ونادت بالتعليم الالزامى للفتاة وفتح آفاق العلم أمامها ومساواتها بالفتى ، وحثت الرجال على نبذ التزمت التزمت فى معاملة النساء حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية .

ثالثا ــ الفترة الثالثة (١٩١٩ ــ ١٩٥١) ظهور رائدات التحرر :

ان هذه الفترة هى فترة رادة النساء . فقد ظهرت السيدة / **هدى شعراوى** التى نادت مجددة ــ بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل وبتعليمها . وأوضحت لأول مرة بضرورة مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية واتاحة الفرصة لها لكى تعمل وتؤدى واجبها نحو الوطن . وأنشأت الجمعيات النسائية ، وعملت على تعليم الفتاة للمهن مثل صناعة السجاد وأشــغال الحياكة والتطريز من أجل اكتساب الفتاة لمهنة تدر عليها الكسب لتصبح مستقلة اقتصاديا . وكان من نتيجة ذلك أن حــدث تراكم فى الوعى لدى النســاء ، فشاركن فى **ثورة ١٩١٩** لأول مرة فى مظــاهرات كبــيرة يحملن راية الجهــاد ويشتركن مع الرجال فى عمل المتاريس وقطع طرق المواصلات وينادين بمقاطعة المستعمرين . وبدأت تتضح معالم الحركة النسائية وكسبت المرأة ولأول مرة فى تاريخها تأييد الرجال . ولقــد أسست السيدة/ **هدى شعراوى** الاتحاد النسائى المصرى عام **١٩٢٣** وانتخبت وكيلة الاتحاد النسائى الدولى فى العام الذى يليه . وكان ذلك نصرا مرموقا للمرأة المصرية . ولقد شاركت معها سيدات كثيرات مثل **صفية زغلول** « **وسيزا نبراوى** » وغيرهن .

وفى عام ١٩٢٨ ونتيجة لضـــغوط النسـاء ، بدأ التحاق المرأة بالجامعة المصرية (التحقت ٥ فتيات بكلية الطب ، ٨ فتيات بكليـــة العلوم ، ٤ فتيات بكلية الآداب) وفى عام ١٩٣٠ التحقت فتاة واحدة بكلية الحقوق ، وفى عام ١٩٣١ التحقت فتاة واحدة بكلية التجارة ، وبدأ التحاق الفتيات بكليتى الهندسـة والزراعة عام ١٩٤٥ . واستمرت مسيرة المرأة المصرية فى التقدم .

رابعا — الفترة الرابعة (١٩٥٢ — ١٩٧٠) :

شـهدت هـــذه الفترة تحولا جذريا فى تاريخ مصر فى أعقـــاب ٢٣ **يوليو ١٩٥٢** . وبالنسبة للمرأة فقد نص الدستور لأول مرة فى تاريخ مصر — الذى أعلن عام **١٩٥٦** — على منح المرأة حقوقا سياسية اســـوة بالرجل ، وأدلت بصوتهـــا فى الاستفتاءات ! على رئاســـة الجمهورية وعلى الدستور ، وفى انتخابات مجلس الأمة والاتحـــاد الاشتراكى وأصبح لها حق الترشيح وفى عام ١٩٥٥ دخلت المرأة لأول مرة مجلس الأمة أصبحت السيدتان / **أمينة شكرى وراوية عطية** عضوتان فى المجلس ، وفى عام **١٩٦٤** أصـــبح هناك ثمان سيدات عضوات بمجلس الأمة . واصبح هناك اقبال على تعليم الفتاة خاصة بعد مجانية التعليم ، وتراوحت الزيادة العشر ســـنوية فى مجموع المتعلمات ما بين ١٥٠٪ ، ٣٦٢٪ ما بين على ١٩٢٧ ، ١٩٦٠ . ولقد كانت بادرة طيبة ان عينت أول وزيرة فى تاريخ مصر عام **١٩٦٢** لتولى شئون وزارة الشئون الاجتماعية . والتزمت الدولة بتعيين خريجى المدارس والجامعات من الفتيان والفتيات فى نواحى العمل المختلفة .

كانت العجالة السابقة ضرورية — من وجهة نظرنا — لرصد

تطور نضالات المراة للحصول على حقوقها ، وذلك لنرصد رصدا مقارنا ما وصلت اليه احوال المراة المصرية المعـــاصرة ونحن على مشارف انتهاء القرن العشرين :

نقول فى البـــداية أن الاستعراض السابق لو سار فى مساره الطبيعى ، لصارت احوال المراة المصرية العاصرة الآن فى حال من التقدم والرقى عظيم الشأن ، ولكن الأمر لم يسير فى مساره الطبيعى فبدون تعليق نذكر :

١ — حدث فى اتفاقية الأمم المتحدة القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المراة والتى **وقعت فى ٣٠ يوليو ١٩٨٠** فلقد تحفظت مصر على :

(أ) التحفظ على منح المراة حقـــا ئتساويا كحق الرجـــل فيما يتعلق بجنسية الأطفال .

(ب) التحفظ على ما جاء بالاتفاقية بشأن تساوى المراة بالرجل فى كافة الأمور المتعلقة بالزواج وعلاقات الأسرة أثناء الزواج وعند فسخه .

(جـ) رفضت مصر فى ذات الاتفاقيـــة الالتزام بما تضمنته الاتفاقية فى اقرار الدستور والتشريعات الوطنيـــة للمساواة بين الرجل والمراة والغـــاء جميع قوانين العقوبات الوطنية والأنظمة والانحراف والممارسات القائمة التى تشكل تمييزا ضد المراة .

(د) كما رفضت الالتزام بعرض ما قد ينشأ من خلاف بين الدول حول تفسير او تطبيق هذه الاتفاقية على هيئة التحكيم ومحكمة العدل الدولية .

٢ ــ ولندع الأرقام تتكلم :

(أ) جملة نصيب المراة من قوة العمل بالنسـبة لعـدد العاملين فى الحكومة الاجمالى تبلغ : ١٧٪ فى مقابل ٨٣٪ للرجال .

(ب) جملة نصيب المراة من قوة العمل بالنسبة لعـدد العاملين فى القطاع العام الاجمالى تبلغ : ٦ر٩٪ فى مقابل ٤ر٩٠ للرجال .

(جـ) جملة نصيب المراة من قوة العمل بالنسـبة لعـدد العاملين فى كافة القطاعات ٤ر٧٪ فى حين أن المعدل العالمى هو ٤٨٪ .

٣ ــ قوانين وزارة الشئون الاجتماعية (المنوط بها الموافقة على قيام الجمعيات فى مصر) تستلزم لتكوين اى جمعية نسائية عرض أسماء المؤسسات للجمعية على شرطة الآداب !! لتدلى برأيها ، كأن المراة بالضرورة كائن فاسد لابد من التحرى عن سلوكه .

٤ — حددت المـــادة ٢٧٧ من قانون العقوبات المصرى نصا « كل زوج زنى فى منزل الزوجية يجازى بالحبس مدة لا تزيد عن ستة اشهر » ، وفى نفس الوقت اذا ضبط الرجل (متزوج أو غير متزوج) يزنى فى أى مكان على الأرض يكون شاهدا على شريكته فقط وتساق هى الى السجن ، وفى ذات الوقت اذا ضبطت المرأة تزنى وهى متزوجة فى أى مكان على الأرض يحكم عليها بعامين سجن . والسؤال لمـــاذا يفرق القانون المصرى بين الرجل والمرأة فى نفس الفعل ؟

٥ — حق الانتخاب ليس اجباريا للمرأة .

٦ — تتراوح نسبة الأمية فى النساء بين ٧٠ ، ٧٥٪ .

ان التحولات التى جرت فى هـــذا القرن ، مكنت الكاتبات العربيات — بشكل اكثر حسما — من أن يكون صوتهن مسموعا . لقـــد اصبحن مفهومات — خاصة — بين النساء اللواتى تلقـــين تعليما متوسطا وفوق المتوسط ، وتستقبل كتاباتهن أيضا من قطاع من النساء اللواتى تلقين تعليما أوليا على الأقـــل .. ولقـــد وجدت الكاتبات العربيات الناشرين الذين يطبعون أعمالهن .

وهكذا لم تضع اصوات » **عائشة التيمورية** « أو « **ملك حفنى ناصف** » أو حتى « **مى زيادة** » هباءا . ولنا أن ندرك أن هـــؤلاء الرائدات كن من الشجاعة — مع بدايات هـــذا القرن — لارساء معايير تنادى بأن : « المرأة تسمع وترى » عكس ما كان ســـائد « المرأة ترى ولا تسمع » .

وفى الخمسينات — من هذا القرن — بدأت الكاتبات العربيات يكتبن الكثير من القصص والقصائد ، ولأول مرة استطعن تجميع أعمالهن فى اضافات عظيمـــة . وفى الفـــترة ما بين الخمسينيات والسبعينيات يـــؤرخ للأدب النسائى بوجود تيـــار واضح من الاحساس ، والحرية النسبية ، والمحاولة الأولية لتغيير التقاليـــد الجامدة .. وقـــد اتضحت شخصية الأدب النسائى العربى بعـــد مرورها بكثير من الصراعات : ففى البداية رفض نمـــوذج الأدب الغربى كرد فعل للاستعمار وما سببه من الآلام فى العالم العربى ، ومن ناحية أخرى انعكاس الوضع الاجتماعى والسياسى المتغير على واقـــع الشعوب العربية ... وعلى النساء بشكل خاص ..

ان الطبقة العربية الوسطى التى ظهرت ونمت بين وبعـد الحرب العالمية الثانية اصبحت معرضة للهبوط والصعود تبعـا للبناء الاقتصادى الذى تأسس . ان اعـدادا كبيرة من النسـاء انطلقن كقوة عمل كما انطلقن للتعليم . ولكن هـذا البناء سار فى مسار عكسى مع مجريات الأمور . فبالنسبة للحريات الثقافيـة والمعنوية والعلمية الخاصة بالمرأة لم تحصل عليها النسـاء كحريات طبيعية . ولقـد انعكست هـذه الظروف على الكاتبات العربيات اكثر من غيرهن . ذلك أن رؤيتهن الداخلية والخارجيـة تأثرت بذلك . فمثلا تتحدث « **عايدة ادريس** » فى قصتها « **حقيقـة الخـداع** » وتعالج بشكل دموى هـذا المسار العكسى الداخلى : ان حياة ابطالها النساء مملوءة بالرغبات المحيطة ، يقعن فى الحب ويفشلن فيه مع مجموعة من الرجال عـديمى الشأن ، ان التقاليد الجنسية الغامضة ترغم النساء على الخوف من الحديث فى الجنس أو **ممارسته** .

وتعتبر « **غادة السمان** » أقوى من غيرها من الكاتبات فى التعبير عن حـالة الحـيرة فى الاحساس والشعور بالغربة . ان ابطالها وبطلاتها فى حيرة دائمة : بين التفكير والفعل ، بين الواقع والمشاعر ، بين القيم الجامدة ومتطلبات الحياة الحـديثة .

ان الأبطال والبطـلات فى قصص الكاتبات العربيـات ، يبدون فى حالة تخبط ابدى للاختيار بين الخطوات التى حققها الغرب فى تحطيم الخرافات والمحرمات ، وبين الواقع العربى بتقاليـده الجامدة ، وبين بعض الفوضى غير المربحة فى القيم الغربية .

ان معظم الكاتبـــات العربيات فى الخمسينيات والستينيات والسبعينيات عبرن عن قطاع من البرجوازية المتوسطة ، فكبتن بوجهة نظر ليبرالية تشبها بسيدات الحركة الارستقراطية . ولكنهن فى العشر سنوات الأخيرة كتبن عن النساء المضطهدات اقتصاديا واجتماعيـــا .

ان علمـــاء الاجتماع لهم تحليل عن المعاناة العميقة لضـــحايا المجتمعات الزراعية والبدوية . انهم يشرحون الصراع الحاد الذى تعيشه المرأة العربية ــ حيث المجتمعات الزراعية والبـــــدوية ــ لمعايشة لمعايير الزائفة للشرف والأخلاق والسلوك .

ويعود الفضل للكاتبات العربيات فى جـــذب الاهتمام لهـــذا الواقع من خلال صراخهن المتواصل . فالكاتبة « **كوليت خورى** » فى قصتها « **أيام معه** » ، « **وليلى بعلبكى** » فى روايتها « **الآلهـــــة الممسوخة** » ، تتحـــدثان عن مثل هـــذه الأمور والتى تعتبر نقلة ضخمة فى أيامنا هـــذه . فبالأمس كان شغلهن الشاغل فضـــــح المعايير الزائفة ، واليوم يعبرن عن مشاعر المرأة التى يجب أن تعبر عنها كانسان حر . . . ويوضح « **عفيفى فراج** » فى كتابه « **الحرية فى أدب المرأة** » موقف هؤلاء الكاتبات العربيات عندما يقول :

فى محاولتهن لانتزاع حريتهن من خلال توضيح جنسهن ، فان أبطالهن يعـــدن الى مشاعر وروح الحريم .

وفى كتابات الروائيات العربيات ، تستطيع أن نرى بعضا من التخبط بين النماذج التقليدية للحياة العربية وبين الرغبة المكتفية بالرعب فى دواخلهن الشفافة فى معايشة حياتهن كاملة كانسانيين .

لقــد كانت سنوات الخمسينيات والستينيات هى الفرصــة الشهيرة التى اتاحت للكاتبات العربيات ان يحققن نجاحا ملحوظا وينتشرن . أن « **كوليت خــورى** » ، « **ليلى عسيران** » ، « **ليلى بعلبكى** » على سبيل المثال اخــذت فرصتهن فى التعبير والنشر .

وفى شمال افريقيا فان الروائيات العربيات لازلن مستمرات فى الكتابة سواء بالعربية أو الفرنسية . والكثيرات منهن اخترن الميل نحو الحياة على نمط المناخ الأوروبى وتأثرن به ويتضح فى أعمالهن التى تتساءل عن الاغتراب الذى تواجهــه النســـاء العربيات فى مجتمعاتهن . منهن « **آندرية شديد** » و « **آسيا جبار** » و « **جليلة حفظيــة** » .

واصبحت اعمالهمــا تترجم الى العربيــة بعــد اصبحن مـؤثرات فى المجتمع العربى . وهناك كتاب آخرون بداءوا يعرفون من خلال الترجمات الأجنبية لأعمالهم أو بمعنى اصـــح الكتابات باللغات الأجنبية قبل ان يكتبن باللغة العربية ، ولعــل المجموعة القصصية « لاليفة رفعت » المصرية اوضح دليل على ذلك : فقــد نشرت مجموعتها بالانجليزية ولم تنشر بعــد بالعربية — لقــد كانت تنشر باسم مستعار ولم تستخدم اسمها الحقيقى الا فى عام ١٩٧٢ . أن قصصها تتحــدث بصراحة عن أمور الجنس ، الموت وما بعــد الحياة ، وهى تلك الموضوعات محل اهتمام المجتمــع النــامى .

وفى العشرين سنة الأخيرة وخاصة عقب ١٩٦٧ هــذا العام

الذى يعتبر ذات مغزى للتغيير فى العالم العربى ، فان الكاتبات العربيات انتجن اعمالا تأثرت بالتغيرات التى زلزلت عالمهن العربى. وعلى سبيل المثال فان « جليلة حفظية » ول. فالوتى من تونس ، « وخانتا بانونا » من المغرب ، عبرن عن انعكاس أوضاع مجتمعهم على نساء الشرق الأوسط عموما ولقد شارت الشاعرات العربيات فى انتاج اعمال عن المرأة تعبر عن واقعها وتأثره بالتغيرات فى المجتمع بلغة ادبية رقيقة ونفاذة فى نفس الوقت .

هكذا شاركت الأدبيات العربيات فى اثراء العقل العربى وتنوير عقول النساء على وجـه الخصوص وتفاعلن مع مجتمعاتهـن مخاطبات العقل فى تفاعله مع الشعور والاحساس الانسانى .

●

ساقطات فاضلات

نماذج من الأدب العربي

أن تناولنا لقضية « المراة الساقطة » من خلال بعض الأعمال الأدبية العربية ، يبدو أنه موضوع شائك الى حد بعيد ؛ حيث أن المراة فى حالتها الطبيعية عندما نتناول قضاياها يصبح ذلك عسيرا فالتصادمات حادة مع العادات والتقاليد ... فما بالك ونحن نتحدث عن امراة فى حالة سقوط جنس ؟ ! . ولذلك وحسب حدود علمنا فان هذا الموضوع لم يطرح للمناقشة فى عالمنا العربى الا ما ندر .

أن هناك وجهات نظر عديدة تتخذ شكل التعريفات للسقوط الجنسى ، من ابرزها انسايننا فى عالمنا الحديث ، وجهات النظر التى ترى أن الجنس مرتبط ارتباطا أصيلا بالحب ، لذلك يقولون ممارسة الحب ، فالحب دافع للجنس وليس العكس . ولذلك فكل جنس بدون دافع أصيل من الحب هو سقوط جنسى .

والنماذج التى اخترناها من الأدب العربى « لصورة المراة الساقطة » . وقد تقترب من وجهة النظر السابقة . ولكنها تعتنى بأن المراة فى مجتمع ما تسير حسب ما رسم لها من دور داخل النطاق المجتمعى وفى حالة الخروج عن هذا النطاق تواجه معارضة المجتمع خاصة فى أمور الحياة واهمها ممارسة حقها فى الحياة الوحدانية . . وتبدو محنة المراة عندما توضع فى الازدواجية الاخلاقية داخل المجتمع وهى لذلك توجه عدوانها تجاه نفسها قبل أن توجه هذا العدوان للمجتمع نفسه . تحدث الأزدواجية من المجتمعات بما يطرا عليها من فكر : مقروء — مسموع — يشاهد ، هذا الفكر عادة ما يكون جديدا ووافدا على

المجتمعات التى تحكمها عادات وتقاليد جامدة بلا سند من العقل والمنطق وينشأ الصراع بين ما هو مستقر عليه وبين الفكر الجديد وتنشأ الازدواجية الاخلاقية فى ترجمة الفكر الى عمل خاصة فى أمور الذات الانسانية وهى تبحث عن نفسها وتحاول أن تعايش التطور لصالحها .

سنأخذ هذه النماذج من الأدب العربى :

حميدة : بطلة « زقاق المدق » لنجيب محفوظ .. زهرة : بطلة « حكاية زهرة » لحنان الشيخ .. فتحية : سيدة : بطلات « النداهة » دستور .. يا سيدة ليوسف ادريس .

حميدة فى « زقاق المدق » :

حميدة : بطلة « زقاق المدق » لنجيب محفوظ .. زهرة :
المزدحم بسكانه (ومع أن هذا الزقاق يكاد يعيش فى شبه عزلة عما يحدق به من مسارب الدنيا ، الا انه على رغم ذلك يضج بحياته الخاصة ، حياة تفصل فى أعماقها بجذور الحياة الشاملة ، وتحتفظ — الى ذلك — بقدر من أسرار عالم منطوى) ص ١ .

حميدة : فتاة صغيرة وتتميز بجمال خاص (فى العشرين ، متوسطة القامة ، رشيقة القوام ، نحاسية البشرة ، يميل وجهها للطول ، فى نقاءورواء ، واميز ما يميزها عينان سوداوان جميلتان ، لهما حور بديع فاتن ، وكلنها اذ اطبقت شفتيها الرقيقتين وحدت

بصرها تلبيستها حالة من القوة والصرامة لا عهد للنساء بهـــا) ص ٢٧ .

حميدة : تغضب وفى غضبها عنف (ان جنونا لا شك فيـه بنتاب ابنتها حين تغضب وسمتها « الخمسين » باسم الريـاح المعروفة) ص ٢٨ .

حميدة : قـوية فى غضبها (لن يلم الله شعثك برجل ، فأى الرجال يرضى بأن يضم الى صـدره حجرة موقـدة) ص ٢٨ .

حميدة : واثقة فى نفسها وكانثى (لست اجرى وراء الزواج ، ولكنه يجرى ورائى انا ، وسأنبذه كثيرا) ص ٢٩ .

حميدة : متطلعة (ما قيمة هذه الدنيا بغير الملابس الجديدة ؟ ! الاترين أن الأولى بالفتاة التى لا تجـد ما تترين به من جميل الثياب أن تدفن حيه ؟ !) ص ٣٠ .

حميدة : متمردة على وقعها (آه يا خسارتك يا حميدة ، لمـاذا توجـدين فى هـذا الزقاق ؟ ! ولمـا كانت امك هـذه المراة التى لا تميز بين التبر والتراب ؟ !) ص ٣١ .

حميدة : أسيرة حب المـال (تركزت عبادتها للقوة فى حب المـال على اعتبار انه المفتاح اسحرى للدنيا ، المسخر لجميـع قواها المخـدره ، فجل ما كانت تعرفه عن نفسها أنها تحـلم

بالمـــال ، المـــال الذى يأتى بالثياب وبكل ما تشتهيه الأنفس) ص ٤٤ .

حميدة : لا تقيم وزنا كبيرا للقيم السائدة (الا يجوز أن أكون من صلب باشوات ولو على سبيل الحرام) ص ٤٥ .

هـــذه هى شخصية حميدة تبدو شخصية ليس فيها تناقضا واحـــدا ، وهى تكون بعضها بعضا :

هى جميلة تستمد من جمالها الثقة فى نفسها ، والثقة أعطتها القوة فهى مرغوبة دائما ، والقوة أعطتها خـــق أن يحتملها الآخرون لذلك فهى تغضب وتحتمل لأن القـــوة يجب أن تمـــــارس وهى تمارسها باثبات نفسها فى الغضب . وهى فقيرة ، وقوتها ليســـت لهـــا متنفس صحى فهى محـــدودة العقل ولذلك تزيد ممارســـتها كائن فقط ، فتمارسها بالتطلع السلبى شبيه حلم اليقظة والتمنى ، هـــذا يجعلها دائما متمردة على واقعها العام : على الزقاق وأهله . ودفعها ذلك أن (لا تقيم لفضيلة وزنا) ص ٨٩ .

كيف حركت مكونات شـــخصية حميدة تصرفاتهـــا .... ان الانثى بمنوتها التقليدى هى رأس مال حميدة فى حياتها فى الزقاق . تمناها الكثيرون .. خطبت « لعباس الحلو » حلاق الزقاق الذى فهم جيدا تطلعات حميدة وأحبها ولذلك ترك الزقاق وذهب الى معسكرات الانجليز لجمع المـــال ارضاءا لحميدة . وتمت خطوبتة لهـــا ... ولكن هل أحبت حميدة عباس الحلو ؟ ! .. عباس

الحلو : تتمناه الكثيرات من بنات الزقاق وحتى صديقاتها فى المشغل ، شخصيته هادئة ويرضيها ذلك نظرا لحبها للسيطرة .

لولا ايمانا بالزواج كنهاية طبيعية محتومة لمــا ترددت فى نبذة القسوة عليه) ص ٨٨ .

(اليس هـــو فتاها على اى حال ؟ ومع ذلك ساروها شعور بالقلق والتردد) ص ٩٤ .

(حقا لو عباس الحلو لطموحها العنيف ببعض الزاد ، ولكن الحلو نفسه ليس بالرجل الذى تريد وقـــد حيرها أمره منذ أول لقــاء . ولم تكن تدرى كيف يكون رحلها على أية حال) ص ١٥٢ .

بعـــد ان تقـــدم لهـــا السيد سليم : (وهكذا نبذت خطيبها الأول بغير تردد ، ولكن بعـــد ان كانت نبذته فى قلبها منذ أمـــد طـــويل) ص ١٥٣ .

هـــذه هى حميدة لم تحب ابدا عباس الحلو ولا غيره من رجال الزقاق . وفى رؤيتنا ان حميدة لم تمر مع عباس الحلو بأى مرحلة من اى مراحل الحب الأربع : الألفـــة ــ البوح الذاتى ــ تنمية التبعية المتبادلة ــ تحقيق الحاجة الشخصية . فقط عباس الحلو كان يمثل لهـــا أمـــلا يحقق تطلعاتها فى الخروج من مـــأزق « الزقاق » بما يجمعه من مال فى علم الغيب .

ان لحظة التحول فى حياتها هـــو دخول ذلك الشاب الانيق الى « الزقاق » ومشاهدتها له ومطاردة عيونه لهـــا .

(بعث ظهوره فى نفسها ثورة عامة جارفة استثارت كوامن غرائزها جميعا . اغضبها زهوة ، واخفها تحدية ، واغرتها وجاهته ، وايقظتها نحولته وجماله . جذبتها نحوه قوة خفية من غرائزها المطموره ، ووجدت فيه ما لم يجتمع لسواه ممن عرفت من الرجال : القوة والمال والعراك ...) ص ١٧١ .

لقد احتوى أفكارها ولكنه مستفز لما قطرت عليه من قوة والغضب (لعبة القط والفار) (كم تكن تدرك مشاعرها بوضوح وجلاء ، أو تدرس حاجات نفسها الملتوية ، فتحيرت بين انجزابها اليه ، وبين رغبتها المضطربة فى الأخذ بتلابيبه) ص ١٧١ .

وعقب لقائها الأول معه شعرت بأنوثتها وراس مالها واستعادت كلماته (أنت شىء آخر .. انك ها هنا غريبة .. الست فى الدنيا لتؤخذنى .. وانى لأخذك .. الضرب ... واحلها لذة جنونية وسرور وحشى) ص ١٧٩ .

وخرجت تبحث عنه وتراها صاحبتها (هؤلاء صاحباتك ؟ كلا ، لا أنت منهن ولا هن منك . ولكنى اعجب كيف يتمتعن بحريتهن بينما انت فى البيت . وكيف يرفلن فى الثياب الزاهية بينما تلتحفين انت فى هذه الملاءة السوداء ! وكيف حدث هذا يا مليحه ؟ .. اهو الحظ ؟ ولكن يا لك من صابرة متجلدة ؟ !) ص ١٩٩ .

لقد احتواها تماما حيث خاطب افق اساسية فى شخصيتها .. انه فرج ابراهيم هذا الطويل النفس الذى اوقع بها فى

براثنه معتمدا على فراسته . لأول مرة تركب تاكسى (طموح بالنسبة لها) ورؤيتها لعالم جديد عالم الثياب النوارنية والحسان .. بعد مقدمات جنسية بسيطة (قبله ابراهيم فرج لها) يدعوها الى شقته وحيرتها فى التردد ترجع الى (لم يكن الذى يستفزها غضب للفضيلة أو الخلق او الحياء ، فهذه جميعها اعتبارات لم تألف الغضب لها أو الغيرة عليها . ولكنه غضب لكبريائها وشعورها الطاغى بقوتها ورغبتها الجنونية فى الملاماه والعراك ولم تخل ايضا من جنون المغامرة الذى قذف بها الى التاكسى) ص ٢٠٤ .

هذه مرة اخرى شخصية حميدة بالضبط ... لقد مارس معها جنسا غير مكتملا لنهايته وبرغبتها وبارادة منها ، وعرفت أن شقته بها آخرين واخريات ، واوضح عن نفسه جيدا فيما يريده منها :

(أريد شريكا محبوبا نقتحم الحياة معا ، حياة النور والثروة والجاه والسعادة ، لا حياة البيت التعسة والحبل الولادة والقذارة ، حياة النجوم اللاتى حدثتك عنهم) ص ٢١١ .

وتكتشف حقيقة (لست رجلا بل انت قواد) ص ٢١١ .
ويتركها ابراهيم لتعود وينشب داخلها صراع (ستذهب اليه وقلبها مشحون بالامال والرغبات ، ولسان حالها يقول : « انى قادمة بقوتى فلاقنى بقوتك ، ولنتنافح الى الأبد فى سعادة تجل عن

للوصف ، ثم متعنى بما منيتنى به من جاه وسعادة . لقـد وضـح السبيل بفضله هـو ، وهيهات أن تفرط فيه ولو اشترته بحياتها) ص ٢١٥ .... ثم (ماذا يقولون عنى غـدا ؟ وجاءها الجـواب فى كلمة واحـدة : عاهرة ! ... وداخلهـا الحـزن والأسى) ص ٢١٥ .

الصراع بين حياة تفتح أمامها ما تمنته من طموح وفيما ستوصم به فيما بعـد .. الصراع بين ان جزاء من قيمتها قوتهـا بين سكان « الزقاق » سيضيع وضـعتها أمام ما سوف توصم به « عاهرة » ... ان الصراع لم يستمر طويلا هى ليلة واحـدة ذهب بعـدها الى ابراهيم فرج فى منزله وباتت ليلتها ودارت راسها وهى تقارن ما هى فيه من ملابس ومنزل واضاءة وبين ما كانت فيه الزقاق ، حتى اسمها تغير بارادة ابراهيم من حميدة أو حمدية الى يمنى وبسرعة شديدة .. ودخلت بسرعة اشد عالم الدعـارة فى مدرسة ابراهيم فرج للدعارة واستسلمت بسرعة شديدة ، انها لم تفقـد قوتها ولا سيطرتها انها فى الحقيقة كانت تبحث عـن حياة المـال وحسب امكانياتها هـذه هى الحياة . ولكن قوتها واضحة فعندما لم يكمل معها ابراهيم فرج الجنس :

مهلا مهلا .. ان الضابط الأمريكى يدفع خمسين جنيها عن (طيب خاطر ثمنا للعذراء) ص ٤٠ . ضربته على وجهـه ورغم رد الضرب بأعنف من ابراهيم لهـا .. الا ان ممارسـة الحب تمكنت منهـا (ومضت أصابعها تلين ، ثم ارتدت عن عينيـه ، وتحسست منكبيه وعلقت بهما ، ورفعت اليه وجهـا قانيـا وثغرا

مرتعشا مشوقا ...) ص ٢٤٠ .. لقد اختفت من « الزقاق » وعاد « عباس » وفوجىء باختفائها (لقد احب حميدة حبا شديدا باركته نظرته الطيبة بثقة وطمانينة وامن — الى هذا كله — بأن فتاته أكمل فتاة فى هذه الدنيا التى لم ير منها شيئا يذكر فلم يداخله شك فيها أو طيف للشك ...) ص ٢٥٤ . وتبدأ رحلة عباس فى البحث عنها .. وانطلقت حميدة فى عالم الدعارة متقــدمة محققة نجاحات ممتازة ! فلقد تحتت أحلامها . والخيبة المريرة التى منيت بها شذوذ عواطفها (تتلمس أنامل الحب خلال اللكمات والصفعات) ص ٢٧٧ . بين ذراعى الرجل الذى تحبه .. انها لا تستطيع الفكاك من ابراهيم فرج بحكم طغيان عواطفها وبحكم عملها . رغم متاجرته بها ورغم سخريته من حبها (الحب لعب ونحن جادون) (هلمى الى العمل .. الحب كلام فارغ) ص ٢٨٠ .

ووسط كل هذه الانفعالات تكشف لنا حميدة عن عمق آخر فى شخصيتها : التفرد بمن تحب حتى ولو كان ابراهيم فرج كما تعرفه، ومن ثم أرادت أن تتزوجه ويرفض ، ويصبح الانتقام منه وليد الحب لديها وتفكر فى ذلك جيدا . وتقابل عباس فى رحلته فى البحث عنها وهى فى هذه الظروف .. الانتقام ممن تحب . انها تقر أمام عباس بأنها شقية (ومع ذلك فلست انتحل لنفسى عذرا) ص ٢٩٠ .. انها شقية بدرجة أساسية لفقدانها الرجل الذى تحبه كأنثى وتتفق مع عباس ليفتك به حيث عرض عليها عباس ذلك وهو ما انتوته هى من قبل . ويراود حميــدة ترك هذه الدعارة والحياة وحدها بعيدا عن الناس .. ويذهب عباس ويحركه حبه تجاهها وهو يراها فى وضع من أوضاع مهنتها مع نفر من الجنود ونسى مهمته الأصلية

مع ابراهيم فرج فيضربها بزجاجة تجرح وجهها ويضرب عباس من رواد الحانة ويقتل عباس . وتشفى حميدة وتفكر امها فى الاتصال بها لجنى الثمار .

هذه هى حميــدة « **زقاق المدق** » .. هــذه هى رحلتها مع الحياة ..

لقد كانت شخصية حميدة التى عرضناها منذ البداية محركا لكل انفعالها ، لقد كانت الثورة داخلها من اجل حياة افضل ..

ان نجيب محفوظ يرسم حميــدة كمراة قوية تقــوم بمعركة لصالحها حيث صالحها هو تطلعاتها .. لقــد رسم نجيب محفوظ صورة حميدة كامراة ايجابية فى حدود شخصية مأفونة العقل مغلق امامها كل الطــرق لتحقيق تطلعاتها وفى بيئــة لم تتحرك لغيابها « الزقاق » ولم يشغل اهل هذه البيئة امر حميدة كثيرا بعــد أن علموا بأنها « عاهرة » ..

حميدة ضحية شئنا ام ابينا . نعم هى ضحية تطلعاتها ولكن من تطوع بأن يهذب لها هذه التطلعات ؟ لا أحد .! نعم هى اختارت طريقهــا بارادتها ولكن اليس من احبتــه استغلها كجسد يجلب الذهب ؟..

ضحية لمجتمع السطرة فيه للمال والرجال .. ضحية لمجتمع مزق التعاطف الانسانى : ماذا فعل مجتمع حميدة عندما هربت :

مجموعة ن الكلمات والسلبية .. وماذا فعل مجتمع حميدة ـــ الذى يفهم الشرف بمعانى سخيفة ـــ عندما علم بأن حميدة قد اصبحت عاهرة ؟ هل هب أو تطوع احد لانقاذها ؟ لم يحدث .
بطلتـــــه :

مجتمع يرى أن المصيبة وقعت وليس لديه الا كما تقـــــول
(يا ست الستات .. يا قاضية الحاجات .. الرحمـــة .. الرحمـــة يا آل البيت ، والله لأصـــبر ما حييت ، اليس لكل شيء نهاية !! بلى لكل شيء نهاية .)

زهرة فى « حكاية زهرة » :

ان القـــارىء منذ البداية « **لحكاية زهرة** » يتفاعل مع القصة وشكل تفاعله هو الضيق من الجو المأسوى العام للبطلة وشخوص الحكاية . الجو العام للحكاية يتم فى بيروت حيث الحرب الأهليـــة تسمم كل شىء واول ما تسممه الانسان .

تنشأ « زهرة » متعلقـــة الى حد غير طبيعى بأمها وحسب تشبيه الكاتبة كان تعلقها بأمها (كالبرتقالة وصرتها) ، تنفتح على علاقات غير مشروعة ، علاقات جنسية ، تمارسها أمها مع الرجال .. كانت فتـــاة دميمة منسحقة الشخصية .. تخوض أول تجربة حب فى حياتها مع « مالك » وتمارس معه الجنس بخضوع تام لكونه رجلا ، والرجل عندها هو القمع والخوف وقد يرجع ذلك الى قسوة أبيها من انسحاق شخصيتها بشكل عام . ويتركها حبها الأول بعد ان تعـــودت عمليات الاجهاض . وتخوض العـــديد من التجارب الجنسية : ان ممارسة الجنس عنـــدها لمجرد الجنس هو محاولة لاثبـــات الذات . كانت تمارس الجنس على سرير قذر ولا تحتج ولا تتساءل عن انسانيتها .. وهى فى نفس الوقت انسانة مرهفة الحس الى درجة بعيدة .. يقودها حسها المرهف الى شـــكل من اشـــكال الهروب من النفس فتجن وتحجز فى مستشفى للأمراض العصبية . انها تعرف عن نفسها وعن كل امراة انها آلة للانجاب فى ظل الخضوع للرجل .. ان حسها المرهف دفعها للحب وفشلها فى هذا الحب وممارستها الجنس مع كل من يطلبه منها ادى بها الى التناقض الحاد الذى أوصلها لشبه الجنون ..

تخرج من مستشفى الأمراض العصبية .. وتحاول أن تخرج من الجو العام الذى تعيش فيــه . فتسافر لزيارة خالها فى غرب افريقيا . هناك يغريها خالها جنسيا ولكنها تقــاوم ذلك بالهروب منه . يتسبب ذلك عن أزمة حادة لها . وتبحث عن طريقة للهروب من اغراء خالها لها وخوفها من الخضوع له . فتتعرف بـــ « ماجد » وتتزوجه ويكتشف أنهـــا غير عذراء رغم العمليات الجراحية التى أجرتها للتحايل على ذلك . ويثور ماجد ويشرح حقيقة الأمر لخالها. وعنـــدما يسألها خالها عن سبب زواجها من « ماجد » رغم عدم حبها له وحبها السابق الذى يعيش معها « لمالك » ، تتنفس بعمق وتقول لنفسها « يا لجهله » . ان زهرة لم يكن لديهـــا اى حرية للاختيار . ويفشل الزواج لأنتابها حالة كراهية عميقة لمن تزوجته ، وتصاب مرة أخرى فى عقلها وتدخل « مستشفى للأمراض العقلية » للمرة الثانية .

تعـــود الى لبنان ليعرف أهلها بما حدث ، يثورون ضـــدها ويحاولون ارجاعها الى افريقيا مرة أخرى .. انها تعرف ألا مخرج لحياتها تلك الا من حمـــاية الزوج أو الأب أو الخال ، وكل هؤلاء يقمعها بشدة ، وفى أعماقها تريد أن تكون كالزوجات الشفات وراء الشـــباك والناس ينظرون اليها . وترفض الذهاب الى افريقيـــا وتبقى فى لبنان حيث الحرب الأهلية والفوضى والدمار : تقارن بين فرقعة الرصاص فى الحرب اللبنانية وبين الفرقعة الحادثة داخلها كما لو كانت الحرب الأهلية تشفيها . ويهجر أهلها مدينة (بيروت) وتبقى وحـــدها ... ولأول مرة تحب من جـــديد القناص وتحلم بالتطلعات الجنسية معه بارادتها ولبس خضوعا كما حدث لها فى

كل مرة حتى مع حبيبها الأول . هذا القناص يعمل مع العدو ومرتزق وهذا لا يعنيها ، انها تشعر بالجنس معه كممارسة للحب ، هذا القناص يوعدها بالزواج وتؤمن هى لثوان وتصبح الدنيا أمامها **قوس قزح وتبقى معه حتى ساعة الغروب ولكنه يقتلها .**

تنتهى الحكاية وزهرة تحس بالمطر يتساقط وتفكر فى **أمها والأمل .**

ان السرد العام للحكاية نفسه يبدو مرتبكا ، كشخصية **زهرة تماما ..**

اننا امام شخصية بالضرورة ليست سوية ومصيبتها ان احدا لم يتعامل معها لشفائها بمحاولة بث الثقة فيها لاثبات ذاتها حيث تعانى من انسحاق الشخصية .. البديل الذى حدث لزهرة هو استغلال الرجال لها جنسيا رغم دمامتها حتى ان أمها شكت فى ان تكون حاملا يوم أن علمت منها ذلك .. وقعت مع رجال يمارسون جنسا للجنس بلا اى قيود وبكل الاستغلال لضعف شخصية المرأة التى امامهم .

انه مجتمع سطوة الرجال وقهرهم للمرأة واستغلال نقاط الضعف فيها كشخصية انسانية ولكائن لا يستخدم من وجهة نظرهم الا فى شيء واحد الجنس .

ان زهرة ضحية مجتمع الذكور وضحية الارتباط بمثل أعلى سيىء هو أمها وضحية كل من كفر بالانسان من أزمته النفسية خاصة لو كانت امرأة .

تبـدأ القصـة من حيث انتهت .. ولكننا سنعيش فتحية بالتدريج ..

نشأت في الريف .. فتاة شبه ريفية عادية : (ليس في سيرها أو سلوكها ما يخدش .. انها بنت طيبة من بنات ريفنا ذات عقل راجح) ص ١٥ . اختارت زوجها رغم انه معـدم ولكن على اى اساس تم هذا الاختيار ؟ (ولكنها تظلم عقلها اى ظلم اذا قالت : انه هو الذى اختار فمن وراء عقلها كان دائما اصـبع يشير .. اصبع ضـبابى غامض يكاد يهمس لها ويصر ويطالبها ان تأخذ « حامد » .. « فحامد » يعمل في مصر .. وهو على يقين دائم ان حياتها في بلدهم محدودة .. وانها حتما بطريقة او بأخرى سيكتب لها أن تعيش في مصر .. ذلك المكان الرائع الواسع ، « أم الدنيا » الفخم الفاخر الذى يجلو الصدأ عن الجلد ويحيل من يعيشون فيه الى سنانير) ص ١٥ .. فتحية تعرف نفسها كأنثى (ان جسدها الناصع البياض مخلوق للبندر .. وحلاوتها من حلاوة مصر .. فقد كانت بيضاء وكأنها ابنة احد الأغنياء) ص ١٥ .

وفتحية تحلم بعالم آخر غير عالم القرية الفقير حيث الوجوه الكالحة والأيدى الخشنة .. تحلم بعالم مصر (هنـاك تقيم حيث الشوارع الواسعة الحلوة النظيفة التى تنام على اسفلتها دون ان تعلق بك ذرة تراب واحدة .. حيث النور الكثير البراق في الليـل يحيل الظلام الى نهار ساطع .. بل الى ما هو احلى واروع من النهار الساطع ، هناك حيث الستات حلوين وكأنهن من أوروبا ..

والرجال حمر الوجوه .. اغنياء يركبون العربات ويصرفون الجنيه بالكامل فى اليوم الواحد دون ان يحسوا ... هناك حيث الطعـام الكثير والكباب والروائح الحلوة واللوكاندات وبحر النيـل الأعظم حيث يبدأ النيل وينبع ..) ص ١٦ .

فتحية يحركها هاتف داخلى اسمته هى « النداهة » ..

هذه هى شخصية فتحية : تبدو شخصية عادية كأى أنثى ، ولكن ورغم عقلها الراجح فانها لم تتميز به . زوجها « حامد » بواب العمارة فى القاهرة لا عن حب ولكن عن كونه وسيلة لنقلها الى عالم آخر حيث تنتقل الى طبقة اخرى غير طبقتها مشروطا ذلك بالانتقال الى مجتمع حضارى .. وفى نقلتها للمجتمع الحضارى تصدم وتنبهر فى نفس الوقت . حيث لا تجد كل ما رسمته فى ذهنها عن القـاهرة هو واقع : انها تكاد تجن من ضجيج القـاهرة وأبناء القـاهرة (رات فقراء .. فقراء تماما وجوعى وشحاذين .. وفيـها كذب ايضا .. وشتيمة وقلة ادب وحرامية ونشالون .. وستات مصر فيهن قبيحات كثيرات .. بل معظمهن قبيحات لولا الأحمر والأبيض والطلاء الذى يطلين به وجوههن فتحمر كالأحذية اللامعـة وتترك صاحباتها اشـد قبحا) وفى نفس الوقت تنبهر (مصر .. التى وجدتها أروع بكثير مما تخيلت أو استطاعت بنت خالتها ان تصف ، أروع واكبر واعظم الف مرة) ص ٢٠ .

فتحية تعيش فى مجتمع القاهرة ومن خلال العمارة التى يعمل فيها زوجها تعايش السكان بخدمتهم من خلال عينـة من مجتمع

القاهرة هم ساكنى العمارة . لقــد عرفت قصص كل السكان . عرفت الفضائح والمخازى . عرفت فتحية (أصبحت تدرك أن تحت مصر الوجيهة الغنية المؤدبة الوقور ، هناك مصر أخرى مليئــة بالفضائح والمخازى ..) ص ٢١ .

وانجبت طفلين .. بدأ ينغص حيــاتها ساكن من الســـكان يطاردها أو هكذا صور لها ، وتدور فى رأسها خيــالات تعبر عن بدايات لأحداث قادمة (خرج لها ذلك الهاتف اللعين الذى طالما أكد لها وصدق أن ستكون القاهرة مآلها ليؤكد انها واقعة فى المحظور مع الأفندى لا محالة ومهما فعلت) ص ٢٢ .. هذه المرة ترفض فتحية الهاتف (بتصميم قاطع مانع أن ابدا لن يكون حتى لو دفعت حياتها ثمنا ، فأبدا لن يكون .. وبيننا الأيام يا مصر) .

ولكن ماذا تفعل فتحية مع الساكن الخدوم الشهم الذى يجيد احترام الآخرين ، انه مجنون بالنساء جميعا . لقد قرر (أن يلتهم فتحية ويضمها الى قائمة الضحايا .. هو ليس اذن ذئبا عاديا .. انه ضبع ، أشد ما يجذبه فى الضحية هو بالضبط نفس الأسباب التى تدفع غيره من الذئاب لأن يبتعد : ان أسعد مغامراته تلك التى انقض فيها على أرملة فى نفس ليلة وفاة زوجها العجوز) ص ٢٣ ، ص ٢٤ .

وفى لحظة بدأ ينصب لزوج فتحية الفخ برشوته بالمال ويتبلع زوجها الطعم .. ويبدأ حوارا انسانيا عاديا مع فتحية وهى قابعة فى مكانها لم ترفع عينيها له .. أصبحت فتحية ليست خادما ولكنها

عرفت مجتمع القاهرة وادركت نوايا الرجل منـــذ أن بدأ يتحدث معها . ويعاودها الهاتف (ما يوسوس به الهاتف سيقع . برضاها سيقع .. برغم رضاها سيقع) ص ٢٦ وتستمر فتحية فى المقاومة وتدور معركة الصمود داخلها .

والرجل الضبع ليل نهار يفكر فى فتحية والايقاع بها وقد مر شـــهران الآن دون أن يفلح معها فى شىء واهتز أمام أول امرأة لا تعطيه الاهتمام ولا تلبى اشـارته .

فتحية اثناء هذا الصراع بدأت تشـــعر (أنها انتصرت على الهاتف بداخلها والمقدر والمكتوب) ص ٢٨ . ولكن تحور مقاومتها عندما تجده أمامها فى حجرتها حتى تقع على الأرض .. لماذا ؟ فتحية ترجع ذلك الى النداهة أو الى رعبها من النداهة التى عادت لتنفذ المقدر والمكتوب .

وبكل الهلع الجنسى لدى الضـــبع مزق ملابسها وتعرى من ملابسه وقفز فوقها ورغم ما كانت فيـــه من اغماء الا انها قاومت وظلت تقـــاوم (كان ممكنا أن تصرخ تستنجد بالناس أن يقاوموا لها ولكنها رفضت وأبت فالمعركة معركتها وحدها ..) ص ٣١ .

فتحية يذهب منها الرعب ويحل محله الغضب وتفتح عينيها لترى مخلوقا بالنسبة لها لم ترى مثـــله من قبل روعة . وبدأت مقاومتها تتململ .. ولكنها رجعت تستعطفه مرة أخرى (كانت تبكى على نفسها وعلى عجزها بكاء لم يستمر طويلا) ص ٣٢ ..

بدت فى صراع هى تقاوم ولكن كل شىء تحول فى خاطرها الى جبال منقطع النظير : الوجوه — الألوان — الكباريهات — الراقصات — كل الأطفـال الأصـحاء النظيفين — الأمهـات — الأجزاخانات والارتستات ..

وانتشت فتحية وما ان بدأت تحس بهذا (حتى كان الباب قد فتـح وعلى عتبته وقف « حامد » طويلا رفيعا مصعوقا أسمر غامق السمرة) ص ٣٣ .

فتحية مفتوحة الساقين امام « حامد » وفى اعماقها تتمنى أن يميتها حامد حيث هذا هو حل الموقف . حاولت أن تتكلم فأسكتها .. غمضت عينها وتسمع بكاء منخفض لحامد .. لم تصـدق أن مصر هزمته فلو كانت فى القرية لحدث عكس ذلك تماما . (المصيب هو الآخر باللعنة وهزمته مصر ورخرخت ارادته وطبيعته حتى لم يعد قادرا على قتل زوجته وهو يضبطها متلبسة مأخوذة ؟) ص ٣٤ . تمنت ان يقتلها زوجها .. ولكنه فى الفجر يقرر « حامد » الانسحاب من المدينة الكبيرة فى طريقه للمحطة وقطع التذاكر .. ولكنه عاد لبلدتهم وحده .

فتحية غافلته فى ازدحام القادمين والراحلين فى باب الحديد وهربت .

فتحية (عادت الى مصر .. بارادتها هذه المرة وليس ابدا تلبية لهتاف هاتف او نداء نداهة .

. . . . .

هل فتحية هى بطلة النـــداهة ؟ أم ان النـــداهة هى بطلة النداهة ؟... قد يختلط الأمر !.. النداهة هو ذلك الهاتف الذى يطارد فتحية بل وأحيانا يتنبأ لفتحية بالمستقبل وخطواتها القادمة .. انه اللاوعى داخلها .. وهو أحد مكونات النفس العامة لفتحية .. انها تتحرك حسب هذا اللاوعى دون تهذيبه أو التعامل معـــه ، واللاوعى داخلها فى صراع خجل مع واقعها ، يؤدى الى نوع من عدم المواجهة مع الوعى لديها فيصبح هناك خداع للنفس .

ضحية من فتحية ؟! وهل سقطت جنسيا ؟! . نعم سقطت جنسيا فبرغم المقاومة التى ابدتها وهى تغتصب الا انها أحست ببدايات النسوة الجنسية .. انها تفكر فيـــه منذ ان رأته ولذلك تحاشت ان تلقاه الى يوم اغتصابها أو يوم اكتمال حلمها به .. لقد مارست الجنس مع من يمثل حلمها القديم عن القاهرة المبهرة .

ان فتحية هى ضحية الجهل الذى عاشت فيه ، والذى دعمه مجتمع نشأت فيه (القرية) بكل سذاجتها ، والذى دعمه مجتمع انتقلت اليه (القاهرة . المجتمع الحضارى) بكل شراسته وتفسخ قيمه وانسانيته .. وهى فى نفس الوقت ضحية انبهار زائف يروج عن مجتمع المدن الكبرى . وضحية زواج يقوم على المصلحة وليس على الحب .

فتحية فى النهاية جزء من مجتمع بهرها ، وجعلها تسير وراء خداعها لنفسها ، بل واستمرارها فى السير فى طريق لا عودة منه : طريق هو ما بين الجنون والســـقوط النهائى الارادى الواضـــح (هربها الى مصر وعدم سفرها مع زوجها وأطفالها) .

سيدة ما فى : « دستور .. يا سيدة » :

بطلة « **دستور .. يا سـيدة** » لم يسميها **يوسف ادريس** وسوف نشير اليها « **بعى** » ...

هى تعدت الخمسين من عمرها ، مات زوجها فى ثلاثة أرباع الطريق .. ان الجميع يعرف عنها أنها أم مثالية .. هى أم (لمدير عام شاب لامع ، ولدكتور فى جامعة يؤكدون أنه الوزير القـادم ، والثالث تاجر سيارات مستعملة واغناهم جميعا ، وبنت تزوجت وتعمل أيضا فى الخارجية) ص ١٣٠ ..

سعادة الاكتفاء موجودة لديها وربما لا حد لها ظاهريا .. فى البداية كان ابناؤها حولها بكل ما يحملون من الحب والتقديس حتى بعد أن تزوجوا .. يجمعهم يوم الجمعة فى منزلها .. الأبنـاء فى أعماقهم يعتبرون أن ما يقومون به واجب تجـاه الأم حتى مدحهم لطعامها . هى تشعر فى أعماقها بأن كل ما يحدث أمامها تمثيل فى تمثيل .. انها تشعر أن لكل منهم اهتاماته البعيدة تماما عنها .. أصبحت تعتبر أنها حتى وهم فى بيتها عبئا عليهم .. وبعد تمثيلية يوم الجمعة تعود الى وحدتها تماما (أولادها لم يعودوا بحاجة اليها الا كديكور أم محنط فى شقة العيلة) ١٣٢ .

هى حين مات زوجهـا لم تفكر فى الزواج .. احساسها بأن عليها مسئوليات تجاه الأبناء وجعلها لا تفكر فى شىء غير الأبناء . الآن لم يعد أحد يحتاجها ..

يعرض عليها الأبناء أن تذهب لزيارة السـيدة (كأنما هبط

الاقتراح العبقرى لمشكلة ابناء يريدون فرض اليأس والشيخوخة على امهم فرضا) ص ١٣٢ هذا هو موقف الأبناء .

هى فى أعماقها لم تصبح بعد شيخة وان لم تكن شـــابة .. تقبل وتلح عدم قناعتها الذهاب لزيارة السيدة كل يوم جمعة .

هى ذهبت للسيدة مدفوعة .. تقع .. تتلقفها يد لوجه شاب صغير ويحيطها ويحتضنها ، انه ليس رجلا انه بالكاد شاب .. تشعر برقته وهو يحتضنها وتشعر أنها فى أمان كامل لم تشعر به حتى قبل أن يموت زوجها .

انها تواصل مشوارها بعد أن سقطت على سلم السيدة مع الشـــاب (كان مفروضا أن يتوقف موكبها لدى أول محطة ترام أو أتوبيس أو عند أول تاكسى ولكن الموكب استمر لم تطلب . لم تسأل) ص ١٢٩ .

الشاب ذو الثمانية عشر ربيعا يدعوها أن تستريح ويعرض عليها بيت أبيه (ولكنه ، وبحذاقة أهل حى الحنفى ، قدم الحل البديل ، فأبوه فى الدكان ، وعلى بعد أمتار يوجد بيتهم المكون من حجرة واحدة وصالة كبيرة . أيليق بالمقام ؟) ص ١٣٤ .

لقد انتفض النـــداء داخلها قويا ، نابض بالحياة .. مارد تجاهلته وحاولت قتله وحاول أبناؤها خنقه ليموت جوعا واهمـــالا وحرمانا (مارد حين انتفض تحول من النقيض الى النقيض ويعود بها كأنما ببساط سحرى الى ارض شابة ، حية ، مدمدمة بحركة الحياة ، وكل ما فوقها وعليها وداخلها ينبض . ارض مرعبـــة . مرعبة تماما) ص ١٣٤ .. لقد انفجر احساسها بالأنثى المجردة .. ينفجر داخل الشاب الجنس المجرد وهو محتاج لحنان شديد ..

انها تحاول أن تثنيه زيفا عن محاولته الجنسية بكلمة « زى امك » (ولكن الطريقـة التى تنطق بها امك كأنما تعنيها ولا تريده أن يصدقها) ص ١٢٩ .. صحى جسدها (هوانمى ، طرى ، ناعم حتى من خلال ملابسها السوداء) ص ١٢٨ .

فى شقته مارست دورا مزدوجا الأم والزوجة .. هى تمسح الأرض وتطبخ الطعام وتغسل الغسيل (كانت سعيدة سعادة لم تذقها ربما فى شهر عسلها الأول نفسه ، فلم تكن قد تزوجت حبيبا ، انما تزوجت كمـا كان يفعل الناس .. ولولا العشرة الطويلة ، والخلفة ، والطباع الحلوة لكانت كرهته) ص ١٣٦ .

هى لا تعرف لماذا قبلت أن « تحميه » لتكتشف فيه مواطن الرجولة (الذكر) .. ثم تحتضنه من البرد ويدفأ وتكبت شعورها بأن يدق قلبها . (وهكذا بينما — رغم التهامها الشديد — بدأت تنمو وتترعرع ضبابة عاطفية تعطيهما تماما وتربطهما تماما . يفرزها جسداهما لتثـير كل ما لا باستطاعته أو يملك الجسد اثارته .. أيكون الحب ؟) ص ١٣٩ .

أيكون الحب ؟ تساؤل مجرد تساؤل ... وانجذاب الجسدان كل للآخر (ما ان بدأت الأجساد تتقارب حتى استحالت الى قوة تلهب الجذب ، وتشرك فيه الاحساس والمعنى والخيال) ص ١٤٠ (ولو اجتمعت الدنيا كلهـا لتوقف قوة الجـذب الخارقة لوقفت عاجزة) ص ١٤٠ .. لقد استعانت بأولياء الله واستجمعت كل قوتها لتوقف ما يحدث ولكن (جوع الجلد الى الجلد ، جوع الضلوع الى الضلوع ، وظمأ الفم الى الفم ، والسيقان لتلتف حول السيقان كان هو الذى كل مرة ينتصر ، ويقهر) ص ١٤٠ .. وينطلق الصراع

الشبعى داخلها عنيفا وممقدا (تتحول الأمومة بفعل النار الموقدة الى أنوثة بالأربعـــة معا الابن والأنثى والأم والشـــاب فى صراع لا رحمة فيه بين بعضهم ابعض) ص ١٤٢ .

هى فى اللحظات الأخيرة تحدث معها المعجزة فقد استعادت الأم والأرملة العذراء سيطرتها وافلتت الشاب منها .

لقد كانت المعركة ليست بينها وبين الشاب ، بل بينها هى ونفسها .. انها تشعر معه أنها أنثى اكثر انوثة من كل ما تصورته فى حياتها عن نفسها (كأنثى حبيسة تدمدم مهددة بانفجار لا يعلم سوى الله مداه) ص ١٤٣ . انها من ناحية اخرى تصارع عالمها الحبيسة فيه عالم الأبناء والجدة والأم وتنتفض ، ولكى انطلقت الأنثى الحبيسة (وبين القطبـــين الأعظمين تمت شرارة الالتحام الصاعقة) ص ١٤٤ وتم الجنس بعنف وبكل ما تراكم داخلها عبر السنوات (صـــاعقة تزلزل لهـــا بلاط الحجرة المربع واصطكت نوافذها ولو استمرت اكثر لتهدم البيت كله) ص ١٤٥ .

لقد تدفقت وتفجرت فيها الحياة : تبدو اكثر حركة ونشاطا ، وجهها تراه ذو تعبير لم تره منـــذ ثلاثين عاما ، مرحة .. عادت شابة .

هى أصبحت زيارتها للسيدة لكى تلقاه ، ولم تتأخر ابدا عن الذهاب .. وتراه مع فتاة من ســـنه ويتجاهلها ويداعب الفتاة فى محل أبيه .. لقد كان انسانا آخر تماما تحول الى رجلا كبيرا ..

وعادت لوحدتها القديمة .. انها وحيدة كوحدة السيدة زينب وحولها يتشبث الوحيدون والوحيدات

(ودستورك يا سيدة .. والفاتحة لها ولهم)

* * *

هذه هى فى قصة « دستور .. يا سيدة » لقــد استطاعت بلا مقدمات ظاهرة ، فكل المقدمات تصبح زائفة وباهتة : الحياة الاجتماعية المستمدة من الأبناء ، القية المستمدة من كونها أم مثالية ربت ابنائها .. لقد كان السقوط أصـــيلا داخلها كتعويض عن الوحدة القاتلة التى تعيشها : الوحدة هى اقصى أنواع الاهمال : اهمال الحياة للانسان واهمال الانسان للحياة .. لم تأتى وحدتها اختياريا كاغتراب ، ولكن وحدتها كانت اجبارية حيث انفض الكل من حولها فالحياة الحديثة بسرعة ايقاعها لها مستلزمات حتى وان كانت التضحية بالأم واجبارها أن تكون شيخة ..

انها ضحية وحدة اجبرت عليها ، وهى ضحية مجتمع زائف يفرض على المراة الحرمان وفقدان الشعور والاحساس واختذاله فى دور واحد هو دور الأم حتى وان كانت أرملة وتجريمها ان احبت وازدرائها ان تزوجت .. ضحية زواج تقليدى لم يبنى على الحب فلم يترك بصماته عليها وفاء أو اعزازا لذكرى حبيب (زوج) مات .. هى ضحية أن قيمة المراة فى أن تكون مرغوبة جنسيا مهما كان السبب . ولقــد حاولت أن تميت ذلك داخلها ولكن هكذا اهملها المجتمع وكما يقولون (التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر) .

انها ضحية مجتمع لا يتيح للمراة فرص تعـددية الحياة اى لا تكون الحياة وقفا على دور واحد للمراة بانتهاء الدور تتسلمها الحيرة . ضحية من يعتقدون ان الدين عزاء وسلوى بينما هو حب وخير دافع للانسانية .

ذهبت للسيدة وعلى أبوابها كانت بداية السقوط :

« دستورك .. يا سيدة »

ان النماذج الانسانية التى عرضناها من خلال الأعمال الأدبية السابقة ، هى صور لنساء ساقطات جنسيا ولعله قـد وضح من خلال الاستعراض العام لسباق قصة كل نموذج منهن ، ان هنـاك دوافع دفعتهن للسقوط ، دوافع تسبب فيها المجتمع بما يرسخه فى اذهان النساء من كونهن مخلوقات ضعيفة ، وبما يسوده من انكار قيم معطلة لتقدم المراة الانسان ، مما يجسد صورة القهر الواقع فوق كاهل المراة ومحاولة مصادرتها بكل الطرق . ان الارادة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقة فى النفس من منطلق ما يستند اليه العقل من فكر تتولد عنه المبادىء والقيم . ولكن عندما يصبح الفكر جامدا معطلا لحرية الانسان فان ضـعفه يصـبح له ما يبرره اى يصبح ضعفا انسانيا سلبيا يعطى الفكر ويشعل الغرائز العليا الحسية : مثل الجنس . هذا هو الحادث مع النماذج التى عرضناها .

ولعل الأعمال الأدبية التى اخترناها معبرة عن هذه النماذ ، قد جاءت كصدى ونتيجة لجهود الرواد الأوائل المدافعين عن قضية تحرير المراة : **رفاعة رفع الطهطاوى** ، **محمد عبـده** ، **الأفغانى** ، **نبوية موسى** ، **الطاهر الحداد وآخرين** .. والجيل مازال يحمل عبء هذه القضية بكل ما يوضع أمامه من عقابات .

السـت هـدى

تجربة عصرية



ولعلنا نرى فى هذه المسرحية بيانا غير معلن ، يشى بموقف شـوقى ، بوصفه نصيرا ، ومدافعا عن حقوق المراة . وتنم المسرحية كذلك ، وهى آخر اعماله ، عن رغبة الشاعر فى التعبير عن موقف خاص ازاء هذ هالقضية المحددة . قد يغاير هذا الموقف ما شاع عن شوقى فى بعض الدوائر الأدبية ، تلك التى تعده مناهضا للمراة ، ولكن الحق ان الفنان فى داخله لمس مواطن عميقة الغور وكشف فى هذه المسرحية عن فهم ملحوظ لأزمة المراة فى المجتمع المصرى فى مطلع القرن العشرين . اننا نواجه ، فى هـذه المسرحيـة . برغم مرور خسم ينعاما على كتابتها ، بوصف دقيق لأوضاع اجتماعيـة لم يطرأ عليها تغيير كبير . ولن نلجأ فى بحثنا للمسرحية الى معايير خارجية مثل السيرة الذاتية او المـادة التاريخية . فهى معايير لا تفيدنا فيما نحن بصدده ، بل تقودنا الى رؤية زائفة ، تغفل حقيقة اساسية ترتبط بضرورة الاعتماد على النص المسرحى وحـده ، فى مناقشـة آراء شـوقى ومعتقداته . ان اريك بنتلى ، فى كتـابه « حياة الدراما »، The Life of the Drama ، يحذرنا من الفصـل بين الفكر والخيال فى العمل الأدبى ، أو النظر الى اى منهما بوصفه عالمـا مستقلا بذاته، ويخلص الى ان « العمل المبدع لا ينبع من الذهن وحده ، وان شكل فى ذاته بناء عقلانيا » . لقد تلمس شوقى دخيلة النفس الانسانية ، وما تشتمل عليه من حماقة وقصور ، واتخذ منها موقفا محددا ، يخير له قالبا مسرحيا هزليا ، عبر فى اطاره عن ذلك الموقف بلغـة شعرية بالغة الصفاء .

لقد وقع اختيار « امير الشعراء » و « شاعر الأمراء » على امراة من عامة الناس ، تقطن حيا شعبيا ، هو حى الحنفى فى السيدة زينب

حيث عاش الشـــاعر فترة من حياته ، كى نقوم بدور البطولة فى مسرحيته ، وذلك لكى يقدم نظرة نافذة الى حياة الطبقة الوسطى فى مصر . و « الست هدى » امرأة يتهافت على الاقتران بها سرب من الخطاب ، يطمع كل واحـــد منهم فى ثروتهـــا . خصوصا فدادينها الديدة . ولا تزال « الست هدى » تمثل فى عصرنا الحالى نموذجا مألوفا — عصريا نوعا ما — للمرأة التى تعيش فى مجتمعات ثرية نسبيا ، تقضى حياتها باحثـــة عن الســـعادة . لكن الملل والقلق ينتابها ، ولا توافق فى زواجها .

لقـــد استطاعت « الست هدى » ، برغم قيود العادات والتقاليـــد الطبقية ، أن تحول وجودها المنقوص الى كيان يتمتع باســـتقلال ملحوظ ، كما استطاعت ، دون أن تعتمد على حماية اب او اخ ، ودون أن تخلف ذرية ، برغم حياتها الحافلة ، أن تجيد التعامل مـــع عشرة ازواج يتعاقبون عليها ، فتحبط تدبيرهم للاستيلاء على ثروتها، وتحرمهم من الميراث واحدا تلو الآخر ، وتمنح ما تبقى من مصاغها لصاحباتهـــا فى حى الحنفى ، رمزا لتضامنهـــا معهن فى معركتهن المشتركة . وهكذا تقدم « الست هدى » نموذجا لامرأة تتمتع بقدر من التحرر ، برغم ما تخضـــع له من مصـــير ينتهى بالزواج أو التعنيس . لقد خصصت أطيانها ، التى يتهافت الجميع عليهـــا ، للأعمال الخيرية ، ودبرت جنازتها على نحو يليق بثرائها ووضعها الاجتماعى ، وقامت بكتابة وصيتها تحت اشراف الباشا قبل موتها بعام كامل ، ولم ترض أن يكون من يتولى توثيقها أقل من « مفتى القطر وقاضى الاســـلام » . ولم يشـــك العجيزى ، آخر أزواج الست هدى ، فى حصوله على ثروتها ، ولكن الأغا الذى حمل اليه مضمون

الوصية يصدمه بالحقيقة ، فلا يصدق المجيزى أول الأمر أن زوجته قد دبرت التخلص على نحو منظم من كل ما ملكت يداها ، ولا يستطيع تحمل الصدمة فيسقط مغشيا عليه بعد أن قال :

قلبتى هـــدى على النـــار حيـــا
قلب الله جســـــمها فى الجحيم

(ص ٦٤)

وتنتهى المسرحيـــة بيت يردده الجميع على مسمع من الزواج الواهم والدائنين الذين جاءوا سعيا وراء الثروة المشتهاة ، بعد أن اكتشفوا أن سندات الدين التى فى حوزتهم لا قيمة لها ، ولذلك يبدو مغزى النصيحة التى يوجهها هذا البيت الأخير الى كل منهم :

اذهب كــــل ، اشرب الســــند

(ص ٦٦)

تبدأ المسرحية بالست هدى ، التى تدور الأحداث حولها ، وتتحرك المسرحية من تداعى ذكرياتها عن شبابها وغرامياتها ، على نحو متسلسل فى الزمن ، وتتوالى الذكريات فى وضوح شديد ينم عن فطنة أنثوية ووعى فطرى سليم ، وكأن لسان حال الست هدى ، يلخص الموقف كله فى عبارة تقول « ما أفدح أن يكون للمرء طموح رجل وقلب امرأة » . ونتعرف على الحبكة المسرحية فى المشـــهد الافتتاحى عن طريق حوار يدور بين الست هدى واحدى جاراتها ،

وتدعى زينب ، تلك التى تروى ما يجرى على السنة اهل الحى حول
الست هدى وازواجها المتعددين :

الست هدى

يقولون فى امرى الكثير وشـــغلهم
حـــديث زواجى او حـــديث طلاقى

يقولون انى قـــد تزوجت تســـعة
وانى واريت التراب رفــــــاقى

وما انـــا « عزريل » وليس بمالهم
تزوجت . لـــكن كان ذاك بمالى

وتلك فـــــداينى الثـــلاثون كلما
تولى رجــــال جئننى برجـــــال

فمـــا اكثـــــــر عشـــــــاقى
وما اكثـــر خطـــــابى ! ..

ولولا المـــــال مـــا جــــــاءوا
اذلاء الى بــــــــــــابى ..

(ص ٨)

وتلخص الست هدى فى هـــذه الأبيات البارعة مجمل الأزمة
ومحور المسرحية . ان وعيها الحاد يجاوز ادراك دوافع خطابها الى

كشف دخيلة ذاتها ، وما تشتمل عليـــه من خيلاء . ويرجع نجاح هذه الملهاة الاجتماعية الى انها لا تهدف الى تقويم اخلاقى للعصر ، ولا تدعى انها تنطوى على اى حتمية تشتمل عليها الحبكة او الشخصيات ، كما انها لا تطرح قضية جادة ، بل يقتصر هدفها الأساسى على الامتاع والترفيـــه ، عن طريق هجاء تهكمى ، ينصب على أوجه القصور المتمثلة فى هذه الشخصيات . وترمى المسرحية ، دون شك ، الى تقويم نوع من السلوك المعوج ، يتمثل فى تهافت الأزواج على المال ، لكن المسرحية تحقق غايتها عن طريق السخرية والضحك ، وتتوجه بالخطاب الشعرى الى فطنة القارىء وحســـه الفكاهى ، ولذلك يكتسب الضحك سمة فكرية ، ويشتمل الترفيه على دعوة مستنيرة .

يقول افلاطون : « تعانى النفس فى الملهاة مزيجا من الشعور بالمتعة والألم » ، ويضيف ارسطو فى كتابه « فن الشـــعر » قائلا : « اننا نتأثر بادراك قصور الآخرين » . ونحن نعرف ان الملهاة أكثر مراوغة من المــأساة ، ذلك لأن ما يروق عصرا من العصور او امة من الأمم ، قـــد لا يروق غيرهما بالضرورة . لكن جاذبية العنصر الكوميدى فى « الست هدى » لا تخضع لمثل هذا التصنيف المتعسف .

لقـــد نجح شوقى بهذا العمل فى اثارة وعينا النقدى ، ذلك الوعى الذى يصل بين البشر جميعا ، وجعلنا نضـــحك من رذائل شخصياته وأوجه قصورها ، ولم يقتصر نقده على عصره فحسب ، بل جاوزه ليمتد فيشمل البشرية جمعاء .

ولم تنج الست هـــدى بكل سحرها وخيلاتهـــا ـــ من تهكمه الرقيق . وهى تحلل دوافعها الكامنة تحليلا نفسيا واقعيا ، فتكشف

عن تلك الدوافع الخاصة التى تدفع بها الى السعى وراء سعادة بعيدة المنال ، وتظل سادرة فى سعيها الدءوب برغم ادراكها المؤلم لوجود تلك الهوة العميقة التى تفصل بين طبيعة الرجال وطبيعة النساء ، وتفصل بين دوافع كلا الجنسين فى الاقدام على الزواج .

لقد مات عنها زوجها الأول مصطفى فى سن مبكرة ، ذلك الذى كان :

حين يمشى تظنه نخلة « المرج » ماشية

وظلت تنعيه طوال حياتها ، ولم تستطع نسيانه ، أو التوقف عن حبه ، فقد كان الرجل الوحيد القادر على تخليصها ما هى فيه ، اذ لم يسع اليها طمعا فى مالها . لقد تزوجته فى العشرين من عمرها ، ومات عنها ، دون أن تجاوز هذه السن (وستبقى فى العشرين منذ ذاك الحين ، كما تدعى فى اللازمة التى تتكرر لتذكرنا بالزهو الفارغ للأنثى) وظلت بعده دون زواج خمسة أعوام كاملة .

ويبدو التنوع فى هيئات أزواجها ومهنهم ورذائلهم ومساوئهم ، فضلا عن أوجه القصور والخلل فى نفوسهم ، ويبدو ذلك كله كأنه تنوع غير محدود يشمل الجنس البشرى كله ، لقد اتيح لكل هؤلاء الأزواج ، العمدة منهم ، والكاتب ، والصحفى الشهير والفقيه ، والضابط والمحامى ، والعاطل على السواء ، فرصة الاحتفاظ بالست هدى ، لكنهم اخفقوا جميعا دون استثناء ، فتمضى مواصلة بحثها عن الزوج المثالى .

وترجع أسباب ذلك الاخفاق الى حرص الأزواج على شىء واحد فحسب . هو الاستيلاء على ممتلكات زوجتهم . وهى مازالت على قيد الحياة . ومن الواضح ان احمد شوقى يكشف عن مقصده من خلال التعريض بما بعــده سلوكا شاذا من جانب هؤلاء الأزواج الطفيليين . أولئك الذين يسعون — فى اول الأمر — الى ان يستحوذوا على الست هدى وعلى تعاطفنا فى الوقت نفسه . لكنهم سرعان ما يسلكون سلوكا لا يتفق والسلوك القويم . ولذلك ينتهى الأمر بنا الى ازدرائهم . وعندما يطلب المحامى العاطل من زوجته ان تبيع اطيانها كى تساعده فى عمله ، بعد أن تؤدى عنــه ديونه المتراكمة بسبب تعاطيه الخمر ، تصيح به الزوجة قائلة :

لولا فــدادينى وغلاتهــا	**ما طاف انسان على بابى**
بها تزوجت وفى قطنهــا	**كفنت أزواجى وخطــابى**

(ص : ٣٨)

وتسارع الست هدى فتستدعى صديقاتها فى حى الحنفى . فتحضر الجارات مسلحات بالمكانس وأدوات الطهى ، ويطــاردن الزوج الطفيلى ، فى حين يفر وكيله أثناء العراك الدائر ، ليذهب دون رجعة . ويصارح الزوج الست هدى بمقصده دون موارية ، بقوله :

انى لم أخطبــك يــا	هدى لفرط حسنك
ولا تزوجتـــك يــا	صــغيرتى لســنك
ولا وقعت فى البـــلا	ء لســواد عينــك

(ص : ٣٩)

فهو يؤكد لها أنه ما تزوجها الا لأطيانها . وعندئذ تقرر الست هدى ، تلك المرأة الحصيفة التى تحتفظ بالعصمة فى يدها ، أن ترد الاهانة بالانفصال عن المحامى الذى وقع عليه اختيار شـــوقى كى يواجه هذا المصير . ويختتم الشاعر الفصل الثانى بعودة ثانية الى تحذير النساء من التفريط فى حقوقهن .

وتتصاعد هذه النغمة مع تزايد اضطلاع الست هدى بمسئولية تصريف أمور حياتها ، والتحكم التام فى ممتلكاتها ، حتى يصل الأمر الى الذروة فى الفصل الأخير ، حين تحرم الطامعين جميعا من الميراث لتمنحه لمن يستحقه فحسب . لقد حرصت الست هدى طوال الوقت على الاحتفاظ بانتمائها الى بنات جنسها ، وحملت الى نساء اليوم رسالة محددة ، تتمثل فى دعوتهن الى الخروج من دوائر الحماية الاجتماعية ، والسعى لاكتساب الاكتمال الانسانى ، ويتساوق مـــع هذه الدعوة ايمانها بأن يظل الزواج رابطة أساسية تضفى الشرعية على أعمق الغرائز الانسانية غورا ، وكلما توائم الرباط الشرعى مع ذلك الموقف الاجتماعى ، تحققت السعادة الانسانية على أسس سليمة .

لقد جسد شوقى كثيرا من القيم السائدة فى القرن التاسع عشر المرتبط بوضع المرأة ، لكن تصوير ، لشخصية الست هدى يتسم ، برغم ذلك ، بحيوية مدهشة ، ويكشف، بوضوح عن تفاعله مع حركة التحرر التى اتسع نطاقها ، واخذت تهز المجتمع المصرى وتشغله فى مناقشات حامية ، كانت تدور بين كبار المحافظين ودعاة الاتجاه التحررى من المصلحين الاجتماعيين ، أمثال قاسم أمين ، ورشيد رضا

وغيرهم . ولم يكن شـوقى ليتقاعس ، وهو الذى لم يكن يفوته التعقيب بشعره على الأحداث الجارية ، عن الاشتراك بقصائده فى المناسبات الهامة ، التى تعد علامات على طريق الحركة النسائية فى مطلع القرن :

هـذا رسـول الله لم ... ينقص حقوق المؤمنات
العـلم كان شريعـة ... لنسـائه المتفقهـات
رضن التجارة والسياسة ... والشـئون الأخريات
ولقـد علت ببنـاته ... لجج العلوم الزاخرات
كانت سـكينة تملأ الـ ... دنيـا تهزأ بالرواة
روت الحـديث وفسرت ... آى الكتـاب البينـات
وحضـارة الاسلام تنـ ... طق عن مكان المسلمات
مصـر تجدد مجـدها ... بنسائهـا المتجـددات

لقد كتب شوقى وحافظ القصـائد الكثيرة لتأييد قاسم أمين والحركة النسائية ، وتصديا بشكل عام للعقبات التى تعوق تقـدم المرأة ، وادانا ـ مـع قاسم أمين ـ أولئك الذين يحاولون تشويه تعاليم الاسلام . كى تتلاءم مع مقاصدهم . وعبر حافظ عن هـذه الصحوة الاجتماعية عندما أطلق صيحته الشهيرة :

اقاسـم أن القـوم ماتت قلوبهم
ولم يفهموا فى السـفر ما انت كاتبه

ألى أليوم لم يرفع حجاب ضلالهم

فمن ذا تنـــاديه ومن ذا تعاقبـــه

ان تحليل المضمون الفكرى الاجتماعى للمسرحية لا يقلل من قيمة النص الشعرى للست هدى ، ذلك النص الذى ينتمى الى بقية أعمال شوقى بشكل عام ، كما أن هذا يعـــد تعبيرا ، فى الوقت نفسه، عن الاتجاه الذى تركز حول الدعوة الى تحرير المراة العربية فى العصر الحديث . ولقد نجح شـــوقى فى اتخاذ موقف واضح ازاء هـــذه القضية . وقدم شخصيات تتمتع بخصوصية انسانية ونفسية متميزة، كما استطاع أن يفجر امكانات جديدة للكوميديا ، وللخطاب الشعرى على السواء .

لقـــد اعتمد شوقى على الأوزان التقليدية للشعر الغنائى دون أن يعوقه ذلك عن الاستغلال البارع للمستويات اللغوية المتعددة ، تلك المستويات التى تنسجم مع المضمون الفكرى ، فجاء الحوار وجيزا ، سريع الايقاع ، على عكس مسرحياته الأخرى التى تحتشد بقصائد مطولة ، ولقد ادت استجابته للمضمون الفكاهى فى المسرحية الى اختيار معجم لغوى يستمده الشاعر من أشكال الكلام فى الحياة اليومية ، الأمر الذى جعل شوقى يقترب فى هذا العمل اقترابا ملحوظا من ايقاع الحياة العصرية .

عـــذرا : تصويب أخطاء

الصــواب	الخطــا	السطر	الصفحة
نقرا	نقراء	١٩	١٧
اليكن	الكن	الأول	١٨
حريرها	حريها	١٠	٢١
الشهوات	لشهيدات	١٣	٢١
التقاليد	لتقاليد	١٥	٢١
الهــذيان	الذيان	الأول	٢٢
تدفــن	تدفــق	٢	٢٢
هنيهات	الهينهات	٤	٢٢
موتى .. غير اموات	(سطر سقط فى الجمع)	بعد السابع	٢٢
يعشن	يغشن	٨	٢٢
محــل	كــل	١٥	٢٣
التجْيل	النخيل	١٢	٢٥
باوضاعهن	بارضاعهن	١٥	٣٠
لديهن	لديهم	٢	٣٢
التى حــدت	التى حــدث	٣	٣٤
مؤلــا	مئوتا	٥	٣٤
اماكن	امافن	الأخير	٣٨
نفسى	تعسى	١٢	٤١
رمقهن	دمحقهن	١٢	٤٢
العمــل	اعمــالهن	١٨	٤٢
نصنع	نضع	٢٠	٤٢
يعتبرون	يعتبرن	١٣	٤٤
مثلهــا	مثــلا	٤	٤٥
شرحها	شروط	٧	٤٥
ذلك انه	اذلك انه	١٩	٤٥

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٨	١٢	الصــدق	الصــدمة
٤٩	٤	الزوج ان يتردى	الزوج ان يتروى
٥٨	٨	القضــاء	للقضــاء
٥٨	١١	ئتساويا	متساويا
٦٣	٢	فكبتن	فكتبن
٦٣	٩	لمعـايير	المعـايير
٦٤	٤	آخــذت	اخــذن
٦٤	١٠	حفيظه	حافظ
٦٥	٥	شسـارت	شاركت
٦٩	١٨	الوحـدانية	الوجـدانية
٧٠	بعد ١١	(سطر سقط فى الجمع)	هي احدى ساكنات الزقاق
٧٠	١٤	يفســح	يضــج
٧٠	١٤	تفصـل	تتصــل
٧٠	الأخير	وكلنها	ولكنهـا
٧١	٧	حجـرة	جمـرة
٧١	١٥	القـبر	التبر
٧١	١٧	اسحرى	السحرى
٧١	١٨	المزخـده	المخـورة
٧٢	١١	تزيد	تريد
٧٢	١٢	كائن	كانثى
٧٢	١٦	بمنوتها	بمفهومها
٧٣	٧	لــو	لــوح
٧٣	٩	رحلها	رجلها
٧٤	٣	نحــولته	فحـولته
٧٤	٦	قطـرت	فطرت
٧٤	٧	كــم	لــم
٧٤	١٢	لتؤخــذنى	لتؤخــذى
٧٤	١٢	واحلهـا	داخلهـا

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
اللاحاة	الملاماه	٧	٧٥
ولنتناطح	ولنتنافح	الأخير	٧٥
وضعفها	وضعتها	٨	٧٦
ذهبت	ذهب	١٠	٧٦
تقارن	شقارن	١١	٧٦
حمدمد	حمديه	١٢	٧٦
تيتى	يمنى	١٣	٧٦
باعنف	ساعنف	٢٠	٧٦
عنقه	عينيه	٢١	٧٦
وتنتابها	لاتنتابها	١١	٨١
كالزجاج الشفاف	كالزوجات الشفات	١٧	٨٢
ككائن	ولكائن	١٧	٨١
فى	من	٢٠	٨٢
تتخير	تتميز	٧	٨٤
الملمعة	الملامعه	١٦	٨٤
خاما	خادما	الأخير	٨٥
تخور	تحور	٩	٨٦
الهياج	الهلع	١٣	٨٦
النشوة	النسوة	١٠	٨٨
بهى	بعى	٣	٨٩
اهتماماته	اهتاماته	١٤	٨٩
ونلمح	وتلح	٤	٩٠
بحداقة	بحذاقة	١٤	٩٠
بكلمة	كلمه	الأول	٩١
التصاقهما	التهامها	١٢	٩١
وانجذب	وانجذاب	١٦	٩١
الشبقى	الشبعى	الأول	٩٢
البعضَ	ابعضَ	٣	٩٢

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
ولكن	ولكى	١٠	٩٢
سقطت	استطاعت	٤	٩٣
القيمة	القيـه	٦	٩٣
وازدرائها	وازدرأتها	١٦	٩٣
علمها	اهملها	١٩	٩٣

فهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب القومية
٨٧/٤٧٧٦
الترقيم الدولى ٦ — ٩٠٠ — ٤٦٠ — ٩٧٧

دار الاشـــعاع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميد ــ جنينة قاميش
السيدة زينب ــ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩